

لقاء

مع القائد المجاهد سامر السويلم



تَقَبَّلَهُ اللهُ تَعَالَى

بعنوان: خواطر ومواقف القائد خطاب

في: 16 صفر 1421

(أصل اللقاء صوتي)

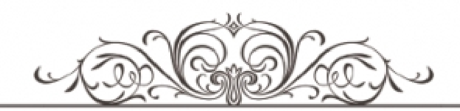
الطبعة الثالثة

1446 هـ

مؤسسة صرح الخلافة



بسم الله الرحمن الرحيم



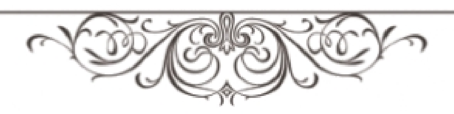
لقاء

مع القائد المجاهد: سامر السويلم

خَطّاب

تَقَبَّلَهُ الله تعَالَى

بعنوان: خواطر ومواقف القائد خطاب



في ١٦ صفر ١٤٢١هـ

(أصل اللقاء صوتي)

الطبعة الثالثة

١٤٤٦هـ

مؤسسة صرح الخلافة



مركز إنتاج الأنصار

الفهرس

مقدمة صرح الخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

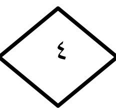
يسر إخوانكم في صرح الخلافة أن يقدموا لكم الطبعة الثالثة من تفريغ لقاء مع القائد المجاهد خطاب -تقبله الله- بعنوان: (خواطر ومواقف). فالطبعة الأولى كان يعتريها النقص، والطبعة الثانية كان يعتريها الأخطاء الإملائية واللغوية وسوء في بعض العناوين الفرعية. فتم تصحيحها وإعادة ترتيبها ووضع عناوين فرعية لكل جزء من اللقاء يتناسب مع ما يتحدث به.

وفي هذا اللقاء يتناول القائد عدة جوانب تفيد المسلم في فهم أن الجهاد في سبيل الله، إن لم يكن من مقاصده إقامة الدين وإقامة دولة إسلامية، بدأ أصحاب الضلال يقطفون ثمرة الجهاد لصالحهم وإقامة دول كفرية. وكذلك ستجد في اللقاء جزءًا من تاريخ المعارك في القوقاز، وكيف أحيا الشهيد خطاب مع إخوانه -بعد فضل الله- الجهاد في تلك الديار، وجعلها من قضية مجهولة الحال إلى قضية إسلامية أحيا الله بها أجيالاً من المسلمين هناك. ويتطرق في اللقاء إلى أنواع الناس الذين قابلهم وطبيعة الأعراق واختلاف ما يُصيبهم من القضايا الداخلية، مما يجدر بالوالي والقائد إدراكها عند التعامل مع الناس.

ومن الحكمة أن يستفاد من تجارب القائد الشهيد، لا أن تؤخذ أفعاله وأقواله كنص منزل لا يسعى مخالفتها أو تطويرها. فإن مما أضل الناس، عدم فهم واقع ما قاله الأمراء وأهل العلم، فتدلس أقوالهم على ما يحدث لاحقًا من حوادث مختلفة لتوافق هوى الضالين، أو يتعصب إلى أفعالهم في مرحلة سابقة، فيفضل الفرقة ويقعد لها وتتخذ دينًا، على وحدة الصف وجمع الكلمة في دولة إسلامية.

نسأل الله أن يرزق خطاب الفردوس الأعلى، وأن يبارك في هذا العمل.

إخوانكم في صرح الخلافة





مقدمة اللقاء

بسم الله الرحمن الرحيم

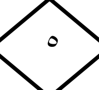
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، قائد المجاهدين وقائد الغُرِّ المحجَّلين إلى جنات النعيم، أما بعد:

فهذا لقاؤنا مع ابن الخطاب (القائد الميداني للمجموعات المقاتلة في الشيشان)، ولنا وقفة حول هذا العَلَم من أعلام الجهاد لنتعرَّف على شخصية ابن الخطاب.

ابن الخطاب أحد القادة الذي اشتهرت أسماؤهم ولمعت في ساحة من ساحات العلم والجهاد والكرامة، وكانت له مشاركات قديمة في أفغانستان، وله اليد الطولى في الجهاد في طاجكستان. ثم أتى في أواخر ١٩٩٤م لنصرة إخوانه عندما داهمتهم قوى البغي (قوى الجيش الأحمر). وكان له أثر طيب في الحرب الأولى في جمهوريّة الشيشان، وقد سُمعت الأخبار ولُوحظ النتائج في العمليات التي قام بها؛ حيث كان لها الأثر الفعّال في دحر القوات الروسية وإخراجها من الشيشان. وها هو اليوم يحدّثكم بتفاصيل الأحداث في الشيشان منذ بداية دخوله في الحرب الأولى إلى آخر لحظة في هذه الأيام، فليتفضل –جزاه الله خيرًا– للحديث.

افتتاحية القائد خطاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد، الحمد لله على نعمة الإسلام، وعلى نعمة الجهاد في سبيل الله وعلى نعمة القرآن، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يُحيينا حياة المجاهدين وأن يَختِم لنا بالشهادة في سبيل الله.





الحقيقة يدور هذا الحديث الآن داخل جمهورية الشيشان في أحداث صعبة ومعارك عديدة، بعد أن أصرّ الإخوة الأنصار قبل خروجهم، بأن يكون هناك لقاءٌ مُسجّل، تُذكر فيه تجربة الإخوة الأنصار داخل الشيشان، وما هي الإيجابيات والسلبيات، حتى يستفيد منها الإخوة المجاهدون في تجارب أُخرى وفي قضايا أخرى.

قبل أن نتحدَّث عن العمليات والأحداث التي جرت في الشيشان، أريد أن أبيّن نُقطة؛ والحقيقة تأملت كثيرًا أن أبينها للإخوة المجاهدين من التَّجارب التي مرَّت علينا، ونسأل الله -عز وجل- أن يتقبَّل جهادنا وأن يجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرحم ضعفنا ويعفو عنا ويكرمنا بعفوه. الذي أريد أن أبيِّنُه هو الاستراتيجية التي يُفترض أن يسلكها المجاهدون في كل قضية.

قضية أفغانستان كانت أولى القضايا، وكان المجاهدون الأنصار يقومون فيها بتجربة أولى، فكانوا في طور التَّعليم مع إخوانهم المجاهدين الأفغان، ولم يكن للإخوة الأنصار -خصوصًا العرب- تلك التجارب العميقة في خوض معارك كبيرة أو في القيام بعمليات بأنفسهم دون الأفغان[١]. الحمد لله، منّ الله علينا بعمليات كبيرة مثل عمليات (جاجي)؛ عندما هجم الروس في جنوب أفغانستان على أكبر وأهم ممرّ للمجاهدين. والحقيقة أبلوا بلاءً حسنًا أيضًا في جلال آباد خصوصًا وفي قندهار، ولكن كانت هذه هي التجربة الأولى، ولم يكن للإخوة الأنصار فكرة أن يقوموا بعمليات من دون الأفغان. وبعدها جاءت أيضًا قضية طاجكستان والبوسنة والشيشان.

أريد أن أُبيّن: ما هي قضية النصرة؟ النصرة في الحقيقة هي أن تأتي مستعدًا جاهزًا لكي تخوض المعركة في أيّ مكان، سواءً كنت تعرف المنطقة أو لا تعرفها، وسواء كنت

[١] استدراك: كانت هنالك جماعات جهادية عربية خاضت تجارب قتالية مع طواغيت بلادها قبل هجرت أتباعها إلى أفغانستان، مثل جماعة الجهاد المصرية، والجماعة الليبية المقاتلة، وجماعات في سوريا. وقبل الحرب كانت هنالك كتائب مقاتلة مختلفة التوجه تقاتل اليهود والفرنس والإنجليز وغيرهم.



تعرف فيها أحدًا أو لا، يعني: تأتي كاملًا جاهزًا، تعرف استخدام السلاح، وتعرف الأمور العسكرية كلها؛ من استخدام الخرائط أو غيرها من الأمور الضرورية للعمل العسكري، ويكون هناك تنسيق مع الإخوة الموجودين.

لو نظرنا مثلًا للجيوش التي جاءت إلى الجزيرة؛ كان كل جيش لوحده، فكان لكلّ جيش تصنيفه الخاص، وله سلاحه الخاص، واستعداداته الخاصة، واستراتيجيته الخاصّة؛ فقط كانت هناك اجتماعات عامة للقيادة لتحديد الهدف؛ وبعد ذلك يقوم كل جيش بخوض المعركة حسب تكتيكه، وكل جيش يكون عنده أسرار عسكرية كثيرة. فهناك مثلًا جيوش تقوم بعمليات إنزال، وجيوش أخرى تقوم بدخول المناطق عبر أخذ المواقع قليلًا قليلًا، أو أن يكون هناك هجوم مُباغت خلف العدو. فأقول كل هذه أسرار عند الجيوش، وكل جيش لا يُطلب بتفاصيل خوض المعركة، بل مجرد أن يعرف الهدف يبدأ في وضع استراتيجية العمل ويبدأ العمل. فليس هناك فرق في خوض المعارك سواء في أفغانستان أو في طاجكستان أو في الشيشان أو في أي مكان، فالقتال قتال.

أما أن يأتي الإخوة الأنصار الذي جاؤوا لنصرة الناس ومساعدة الناس وتقديم العون؛ فيأتون ويكونون حملًا وعبئًا، ويطلبون المساعدة من الناس الذي هم جاؤوا لنصرتهم! وهذا حقيقة هو الذي حصل في قضية البوسنة وقضية الطاجيك وحتى عند الأفغان، وإن كانت قضيّة الأفغان كانت تجربة أولى عند المسلمين.

مرحلة طاجاكستان

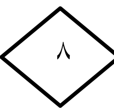
في قضية طاجكستان، كان هناك حديث مع عبد الله نوري (مسؤول الطاجيك). فذكرنا له أنَّنا خضنا تجربة بسيطة، ونريد أن نُقدّم عونًا في مجال العمليات العسكرية والجهاد. فكما هو معلوم لكلّ قضيّة مشاكل كثيرة؛ كمجال التعليم ومجال الطب



ومجال تعليم المهاجرين ومجال الإعلام، ومشاكل جبهات، يعني: مشاكل كثيرة جدًا. فذكرنا لهم أننا جئنا لتقديم المعونة والنصرة في هذا المجال، فنرجو أن يكون هناك ارتباط مباشر مع الأستاذ عبد الله نوري، ولا يتدخل أحد في أمور المجاهدين، فلا تكون هناك مداخلات، وإذا كان هناك شيء يأتي مباشرة من الأستاذ عبد الله نوري. والحمد لله كانت هناك تجارب مفيدة جدًا، واستفدنا منها كثيرًا وأفدنا في تلك القضية.

على العكس من ذلك؛ كانت هناك مجموعة جاءت وجلست عند الطاجيك ودخلت معسكرات الطاجيك، ثم بدؤوا يطلبون من الطاجيك مواصلات، وبدؤوا يطلبون الطعام والخيام والذخيرة؛ فقال الطاجيك: نحن الآن عندنا ألف مشكلة، فأصبح هؤلاء الإخوة المشكلة رقم ألف وواحد!

فنحن إذا جئنا للقضية، وبدأنا نطلب من الناس وبدأنا نضرب على أبواب القيادة ونطلب المقابلات، ونقول: أعطونا بنزين، وأعطونا ديزل، أعطونا ذخيرة، أعطونا كذا، طيب نريد أن ننفّذ عمليات؟ طيب أين نذهب؟ وأين نأتي؟ فحقيقةً هذه ليست نصرة بل هذه زيادة أعباء. فحقيقةً هذا هو الذي حاولنا أن نجنّبكم إيّاه، ولم نسمح لأحد أن يتدخّل في عملنا، بعد أن ندخل الجبهة الفلانيّة أو المحور الفلاني أو المنطقة الفلانية، نبدأ نتحرك ونبدأ نُعدّ الأمور في ذلك الاتّجاه. أقول يجب أن يكون الإخوة الـمُقبلون على أيّ عمل مستعدين جاهزين، ولا يطلبون من أحد شيئًا، صحيح يكون هناك تنسيق ونكون تحت القيادة من أهل ذلك البلد، ولكن يكون خوض المعارك وكيفية خوضها وترتيب الأمور؛ كل هذا يكون عند الإخوة الأنصار الذين يجب أن يكونوا مستعدين لذلك؛ هذا إذا كانوا مجموعة أو أكثر. فهذه كانت حقيقةً بالنسبة لي تجربة جيدة جدًا، ونجحت الحقيقة نجاحًا طيبًا، وكان لي الحقيقة نقاش مع كثير من الإخوة





جاؤوا لزيارتنا وقالوا: نحن لا بد أن ندعم القيادة، وأنتم تأخذون منهم القيادة وكذا، فقلنا لهم: يا إخوة نحن جئنا لنقدّم العون ولنقدم المساعدة، فلا يمكن أن نقف على الأبواب ونقول لهم يا جماعة أعطونا كذا وأعطونا، فلا بد أن نأتي نحن مستعدين جاهزين ونهتم بأمورنا. وذكرت لهم أمثلة من أفغانستان، وكيف وقعت مشاكل كثيرة بين الإخوة الأنصار وبعض الأفغان، وكنّا إذا استشهد أخ أو سقط في حقل الأفغان نطلب من الأفغان أن يأتوا ليساعدوا هذا الأخ، فلم نكن مستعدين أن ننقل جرحانا وننقل قتلانا ونرتّب الأمور بأنفسنا.

وكان لو نُفّذت عمليّة وقُتل فيها مثلًا ٣٠ - ٤٠ أخًا، وكانت تحصل كثيرًا، نقول: كيف قُتل ثلاثين شخص! ونُلقي على اللوم على القائد الفلاني أو على المجموعة الفلانية، ونقول: هذا لم يغطّي علينا بالمدفعية، وهذا هو الذي ضربنا، وهذا هو الذي نسينا، وهذا لم يرسل سيارة. مشاكل لا حدّ لها، فبعد كل عملية أذكر كانت هناك مشاكل، ويكون هناك كبش فداء لنضع عليه اللوم والمشاكل، فلم يكن هناك قضية تجهيز وترتيب في قضية الدخول، وإن كان في بعض الجبهات -الحمد لله- إذا كانت هناك قيادة مُرتّبة تكون الأمور أفضل، ولكن أقول غالب العمليات التي شاركنا فيها لم يكن فيها تجهز وترتيب. والأمثلة كثيرة جدًا في أفغانستان، فحتى نتجنَّب هذا الأمر بدأنا في طاجكستان بهذه الفكرة؛ أن نكون مستعدين، وأذكر والله أربعة شهور كنا فقط نجهّز الأمور التي نحتاجها؛ مثلًا جهَّزنا بيتًا واشترينا الذخائر واشترينا أسلحة وأجهزة اللاسلكي والمواصلات (الشاحنات وسيارات) وكذا.

وكانت هناك مشكلة كبيرة جدًا في عبور النهر؛ يعني: كان عبور نهر جيحون في حدّ ذاته جهاد. ورتَّبنا وزرنا المنطقة الحدودية وقابلنا القائد عبد الصمد ملا قربان (أحد خيرة



الأخوة الطاجيك من متعلمي اللغة العربية)، وأيضًا التقينا بعض الإخوة الأخيار منهم قائد صديق له، اسمه: يحيى في ولاية ألور ومنطقة شياب. فزرنا المنطقة ورتبنا هذه الأمور كلها ثم بعد ذلك خرجنا، وطلبنا من الطاجيك شيئًا واحدًا فقط، وقلنا لهم: والله لا نسألكم مالًا ولا نسألكم سلاحًا ولا نسألكم شيئًا، ونحن جئنا لنقدم لكم المعونة، وفقط نطلب شيئًا واحدًا؛ نحتاج مجاهدين ممن تعرفونهم وممن تزكونهم حتى نعلّمهم وندرّبهم ونجهّزهم بكل شيء، وبعد أن يتجهز هؤلاء الناس ندخل ونخوض معهم المعارك ونكون أمامهم. يعني: نكون أمام هؤلاء الناس، لا ندفع الناس ونحن جالسون ونحرّك الأمور بالمخابِرة، بل نكون أمامهم، فإن قدّمنا خيرًا فهو للإسلام ثم لكم، وإن لم نقدّم شيئًا لا نكون قد كلّفناكم شيئًا، حتى لا يقول الناس فيما بعد: جاءنا الأنصار أو المجموعة الفلانية فأعطيناهم سلاحًا وأعطيناهم ذخيرة وأعطيناهم لباسًا وجهزناهم ثم ذهبوا أو خدعونا وضحكوا علينا أو قصموا ظهورنا، إلى آخر هذا الكلام؛ والمنافقون والمغرضون يعيشون وينشطون في مثل هذه الأمور. فنحن جئنا وكل شيء من عندنا، فإن نجحنا وعملنا عمليات طيبة فهو -إن شاء الله- للإسلام ثم لكم، وإن لم يكن لم نكن أضررناكم بشيء ولا أنقصنا من عندكم بشيء. فهذه حقيقة كانت الطريقة والاستراتيجية التي اتَّبعناها في تقديم النصرة للطاجيك، فوالله يا إخوة نجحت نجاحًا طيبًا.

وحاول بعض الناس تحت القيادة، أن يتدخلوا في أمرنا، ووضعوا قائدًا عسكريًا اسمه: (رضوان) -نسأل الله العافية- من أخبث ما رأينا من الناس، وسمعنا في آخر الأمر أنهم قتلوه. وضعوه أميرًا عسكريًا وحاول أن يتدخل في أمرنا؛ فقلنا له: لا تقترب من المنطقة التي نحن فيها، وأمرنا مُرتبط مباشرةً مع الأمير، وانتهى الأمر. فكانت تجربة مفيدة بكل



المقاييس لي شخصيًا وللإخوة الذين كانوا معي، تجربة كنا نحل فيها المشاكل من الألف إلى الياء.

في حين أننا عندما جئنا لأفغانستان وجدناه جهاد شقق مفروشة، كان جهادًا جاهزًا؛ طرق آمنة ومعسكرات محفورة وآمنة، فقط يأتي الأخ إلى المعسكرات فيتدرّب ثم يُستقبل من البيت إلى المضافة، ثم يذهب للجبهة ويضعه الإخوة الأفغان في المكان الفلاني ويقولون له: اضرب النار هنا واضرب هناك. في حين كنا نحن نحل المشاكل من البداية ونرتب الأمور من الصفر إلى الياء؛ من صَفّ طرق، والنقل والمواصلات، والاتصالات، ومعرفة الأماكن، يعني: أشياء كثيرة لو نريد أن نبحثها أو نذكرها ستحتاج تفصيلًا وذكر أمثلة حتى تُفهم بوضوح. فأقول: نحن في أفغانستان لم نخض في مثل هذه القضايا لأنّ الأفغان كانوا هم الذين بدؤوا الجهاد والعرب جاؤوا بعد ١٩٨٥م أو ١٩٨٦م، وتقريبًا أكثرهم جاء بعد ١٩٨٨م. ولعلّ الإخوة -جزاهم الله خيرًا- في بعض الجبهات واجهوا صعوبة في البداية، ولكن أقول: بعد هذا كانت الأمور شبه مرتّبة، يعني: (جهاد شقّة مفروشة).

أما جهاد الطاجيك، فبدأنا دون شيء (من الصفر). وهذا الأمر لم نكن متعوّدين عليه، وكانت الحقيقة تجربة جديدة علينا، فعلًا كانت تجربة قوية وصعبة بكل المقاييس، ولا أعتقد أننا -سواء أنا أو الإخوة الذين كانوا معي- سنخوض تجربة مثل تجربة طاجكستان، فقد كانت تجربة صعبة بكل المقاييس. السيارات كانت تصل بنا إلى مكان وبعد ذلك نظل نمشي ٣ - ٤ أيام بالحمير والبغال حتى نصل النهر، والنهر كان بحدّ ذاته وحشًا جارفًا، وعبوره كان جهادًا، وبعد النهر هناك جبال لم ترَ عيني مثلها، أقل جبل ارتفاعه لا يقل عن ٣ آلاف أو ٢٥٠٠ متر. الحمد لله، قمنا بعملية أو عمليتين،



وكانت هناك مشاكل في الطرف الأفغاني من الذين يعيشون هناك، وكانت أهم مشكلة عندنا مسألة الطعام والطرق التي لم نكن نستطيع أن نجدها.

في أحد المرات بعد أن جهَّز الإخوة أمورهم ذهبنا في ترصد، فكان الترصّد تقريبًا ٢٥ يومًا، حتى رأيت البوسطة من مسافة ٩ كلم؛ ترانا البوسطة وتقول: هذه نقطة ترصّد تلحقنا، طرق البغال لا تمشي فيها.

وأذكر مثالًا بسيطًا؛ كنا ننقل صاروخ (BM) الكاتيوشا من القاعدة إلى ما قبل الحدود بألفين، ومن هناك ننقله بالحمير والبغال إلى ما قبل النهر بـ٦ آلاف، ولعبور النهر يأخذوا منّا ألفًا، وبعد النهر يحمله الحمّال من الأفغان على ظهره إلى موقع الجبهة بـ٦ آلاف. فالصاروخ قيمته خمسة آلاف، ثم أضف عليها تكلفة النقل ١٥ آلاف حتى نستطيع أن نضع صاروخًا واحدًا في السلاح ثم نطلقه، فتكلفة نقل الصاروخ تبلغ أضعاف قيمة الصاروخ ٣ – ٤ مرات! فكانت قضية صعبة، ولكن الحمد لله الإخوة تعلّموا وفهموا الكثير، وكانت المشاكل تحتاج لحلّها من النهار حتى الليل، ثم بقينا وأردنا أن نُعدّ أكثر، وكان عددنا قليلًا لا يتجاوز ١٠٠ أو ١٢٠ شخصًا، فبعد هذا بدأنا نعدّ الأمور لعدد أكبر لـ ٣٠٠ أو ٤٠٠ مجاهد في طاجكستان. وكانت إمكانياتنا ضعيفة، ولم يكن للقضية حقيقةً اهتمام من المسلمين، يمكن بسبب الأحداث التي كانت في أفغانستان والمشاكل والقتال الذي كان مستمرًا، والطرق كانت صعبة، ووصول أهل الخير كان فيه صعوبة، ولكن الحقيقة ظُلمت القضية كثيرًا، وكانت من أصعب القضايا التي مرَّت على المسلمين. ناهيك أصلًا عن الضعف في القيادة والمشاكل التي كانت بينهم ومشكلة القوميّة. لم أرى شعب فيه من القومية والكلام على بعضهم البعض مثلما رأيت في طاجكستان، فهذا من مدينة بانج وهذا من مدينة كولاب وهذا من الولاية الفلانيّة.

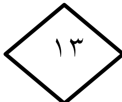


المهم -الحمد لله- أنها كانت تجربة طيبة جدًا، كثير من الإخوة الذين جاؤوا لنصرة قضية الطاجيك ممّن كان مع الطاجيك بعد أن ذهبوا للمناطق؛ تأخر عليهم هذا وأرسلوا لهم سيارة وتضاربت الأوامر مرة اذهبوا ومرة تعالوا؛ فالحقيقة خرجوا بنفسيَّة متعبة جدًا وقالوا: هؤلاء الطاجيك ليس عندهم أناس يريدون القتال. فالحقيقة في نهاية الأمر خرج الإخوة؛ فبدل أن يُناصروا ويدعموا القضية، خرجوا بفكرة سيئة ونقلوا عن القضية غير ما كان من المطلوب أن يُنقل. فالطاجيك أناس مساكين أول مرة يخوضون تجربة، وأنت خضت تجربة قبلًا؛ فما الذي يجعلك تبدأ معهم من الصفر؟! وما الذي يدفعك لأن تخوض معهم هذه المشاكل؟!

أنت إنسان تدرّبت وأكرمك الله بتجربة وعرفت السلاح والقتال، فعليك أن تتحرَّك في ميادين القتال وتعمل، لا أن تعلّق كل شيء على ظهر الطاجيك وتقول: عندهم مشاكل كثيرة، وناس كذا وكذا. فحقيقةً الإخوة للأسف، خرجوا بنظرة سيّئة وبحديث لم يكن من المفروض أن يقال عن هؤلاء الناس، في حين لم نكن نحن بحاجة لهذه الأمور، نحن بدأنا نُرتّب أمورنا لسنة قادمة ثمّ بدأت الأحداث في الشيشان.

المسير إلى القوقاز

حصلت الأحداث في الشيشان، والحقيقة لم نكن نظن أنها قضيّة إسلاميّة، وكنّا ننظر إلى التلفاز وإلى القضيّة ونقول أنّ الذي يقود هذه الأحداث (جوهر دوداييف) وهو جنرال شيوعي، وهم أناس شيوعيون داخل روسيا فهذه مشاكل بينهم! هذه كانت الفكرة بالنسبة لنا، ولم نكن ننظر للقضية في البداية نظرة إسلاميّة. جئت للقواعد الخلفية وجلست أنظر للتلفاز، وكنت [في] الحقيقة أريد [أن] أذهب لمنطقة لأعالج يدي اليمنى؛ فبعد أن سمعنا القضيّة، جاءت لي مع أحد المجاهدين الشيشان ممّن كان معنا في

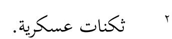




طاجيكستان دعوة لزيارة المنطقة لمدة أسبوع أو أسبوعين. كانت الفكرة أن أذهب لزيارة الشيشان لمدة أسبوع أو أسبوعين. فبدأت أبحث في الخريطة أين الشيشان، وكانت في الحقيقة جمهورية صغيرة (٢×٣ كلم) ولا تظهر على الخريطة. فكنت أظن أن فيها ألف بيت أو ألفًا من النّاس ليس أكثر! فتحركنا من القاعدة الخلفية إلى الشيشان، فحاولنا الدخول بعدة طرق عن طريقة (فيزا)، فلم يتيسر لنا إلّا من طريق واحد. وفي ذلك الوقت، كان الروس بدؤوا في وضع بوسطات[٢] ونقاط تفتيش في الحدود وكذا، فعبرناها ودخلنا إلى أرض الشيشان بغرض الزيارة فقط.

حوار مع شباب داغستانيّن

وأذكر أنّني تقابلت مع شباب طيبين، وشباب على فكر طيب في داخل داغستان، وقلت لهم: (لماذا لا تشاركوا إخوانكم في أرض الشيشان؟). فقالوا لي: (هناك جوهر وهم ناس صوفيون وهناك مشركين وكذا)، وذكروا كلامًا طويلًا عريضًا. فبدأت أتناقش معهم بشيء آخر، فأنا لا أستطيع أن أُنكر ما يقولون فقد يكون هذا صحيحًا، فقلت لهم: (عدوكم عدو واحد وهو الروس، وأنت تاريخكم واحد، وكان إمامكم واحد، وجوهر لن يعيش إلى يوم الدين، سيموت جوهر وسيكون هناك إسلام). وقلت لهم: (بعد أن ينتهي الروس من الشيشان لن يُبقوكم داخل داغستان). أعني: الشباب الذي بدأ بالدخول للمساجد، وبدأ يعرف ويتعلم ويرجع إلى دين الله -سبحانه وتعالى-، فهم لن يبقوكم؛ فمن الحكمة أن تذهب وتقاتل عدوك بدل أن تنتظره حتى يدخل بيتك فتنشغل بالنساء والأطفال، فعندها لن تستطيع أن تقاتل. وأيضًا ذكرتُ لهم: (إيمانك يجبرك أن تذهب وتقاتل، فتذهب للجبهة وتبدأ القتال ثم بيّن للناس وأظهر العقيدة التي تحملها، لأن العقيدة التي عندنا ليست عقيدة أقوال فقط، بل عقيدة عمل -يعني: قول وعمل-،


[٢] ثكنات عسكرية.



وفي مثل هذه الأحوال والظروف تتبيّن العقائد والمبادئ وكل شيء). فذكرت هذا لهم، وقلت لهم: (كلامكم غير صحيح؛ صحيح أنا لا أعرف جوهر، وقد يكون هناك صوفية، ولكن أنتم تقولون: أنكم تحملون العقيدة الصحيحة، فيجب أن تشاركوا، ولا أحد يجبرك أن تبقى تحت قيادة هؤلاء، ولا أعتقد أنه لا يوجد أحد في الشيشان يفهم دين الله تعالى، أو أن كل الناس بهذا المنظار الذي تنظرون به، فنذهب هناك وننظر الأمور ونخوض المعارك). فوافقوا وقالوا: (نحن حقيقة لا نعرف استعمال السلاح). فقلت لهم: (هذا أمر سهل وأنا أدخل معكم وأرتّب لكم).

فأخذت مجموعة منهم، وكنت حقيقةً لا أرجو من دخولي إلّا أن أدرب هؤلاء، ولم أكن أظن حتى أنّي أستطيع أن أقدّم شيئًا للشيشان. وكانت هناك آراء أخرى من الإخوة الذي كانوا يتّصلون ويقولون: (لماذا ولأي شيء تذهبون هناك؟). وبعضهم كان يقول: (أنتم حشّشتم على القتال، وأنتم فقط تريدون أن تُقاتلوا بغضّ النَّظر أين وكيف، وهذا لا يجوز لكم، وهناك شعب صوفي وهناك قياديات شيوعيّة). والكلام كان حقيقةً صعبًا على النفس كثيرًا، وكنت أناقش الإخوة وأقول لهم: (يا جماعة نحن الآن ننظر الأمر من الداخل، لا تستعجلوا علينا. وإن حصل لنا شيء فنحن نشتغل مع الله –سبحانه وتعالى–، فنحن جئنا لنعمل من أجل الله –سبحانه وتعالى– وما جئنا لنقدّم لهذه الشعوب شيئًا، وما جئنا لنقدم لفلان شيئًا، أبدًا والله. ولسنا مستعدين أن نصف حجرًا أو طوبًا من أجل هذه الشعوب. نحن نعمل لله –سبحانه وتعالى– وأجرنا من عنده –سبحانه وتعالى–، فاصبروا علينا). وهم جزاهم الله خيرًا كانوا ينصحون، ولكن هذا النصح كان ثقيلًا جدًا على النفس، وكان الإنسان يفكر في نفسه ويقول: قد يكون كلام الإخوة صحيحًا. وكانت الأحداث قويةٌ جدًّا في غروزني في ذلك الوقت، وكان من الممكن أن يدخل الإنسان فلا يخرج.



وأنا كنت سعيدًا جدًا أن رأيت هذه المجموعة الطيبة؛ وقلت لعلّي أصدق مع هذه المجموعة البسيطة التي بها ١٢ أخًا من داغستان، ونسأل الله أن يتقبل.

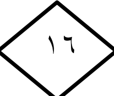
دخول الشيشان

وهذه كانت الحقيقة بداية الدخول، دخلت مع إخوة؛ والحقيقة، وجدت الإخوة طيبين فاهمين دينهم ويقرؤون القرآن، واستقبلني الشيخ فتحي -رحمه الله-، وقبل ذلك هو أرسل لي رسالة فقال لي فيها: (الأمور هنا تتغيَّر لحظيًا ويوميًا وإذا أردت الدخول فلا تفكر في الخروج). فرددت عليه برسالة وقلت له: (إن شاء الله الذي ييسّر لنا طريق الدخول ييسّر لنا طريق الخروج، فنتوكل على الله وندخل). فدخلنا، وتقابلت معه وتقابلت مع مجموعات كانت عند الشيخ. والحقيقة، كانت على مستوى عالٍ جدًّا؛ شباب يصلّون ويؤذّنون، ويريدون العمل في سبيل الله، فتعجبت بل -والله- إني بكيت عندما رأيت هؤلاء الإخوة، وقلت: في هذا العالم، وهذا الحرب والطحن، شباب مثل الورد يريدون العمل لله -سبحانه وتعالى-، والحقيقة تعجبت كثيرًا جدًا.

وكنت أدرس الوضع وأنظر الناس في الداخل والخارج، فرتَّبت تدريبًا بسيطًا، فرأيت إقبالًا كبيرًا والناس تحمّست وكبّرت. فوالله خفت أن أخرج بعدها ويكون هذا تولٍّ يوم الزَّحف، فلا يجوز لأهل الإسلام إذا دخلوا أرضًا أن يخرجوا إذا بدأ القتال فيها.

بداية المعارك

وبدأ القتال يقترب من المناطق التي نحن فيها، وكان كثير من الشباب في نقاش: هل هذا جهاد أو ليس جهادًا؟ وكان الملالي الصوفية يقولون: هذا ليس جهادًا، وهي فقط مشاكل بين جوهر والشيوعيين. وهذا هو الذي كان يدندن عليه المنافقون أذناب





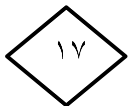
الروس، كانوا يقولون: (هذه مشكلة بيننا وبين جوهر ولا أحد يتدخل فيها). ودخلوا بـ ١٢ دبابة فطحنها المجاهدين، ولم يفطن لهذا الأمر إلّا قليل، فدخلوا بأربعين دبابة. ولم يكلفوا أنفسهم حتى أن يدربوا الشيشانيّين، السائقون الذين فيها كانوا من الروس، والجنود داخلها كانوا من الشيشان، فعندما ضُربوا واغتُنمت الدبابات؛ انفضح أمرهم ووجدوا الجنود الروس داخل الدبابات. ففهم الناس أن هذا برنامج مرتّب ومكر من الروس؛ فاشتعل القتال على أشده، وأخذوا الآليات وأحرقوها داخل غروزني الساعة السابعة صباحًا. عندها فهم الروس أنه لا يوجد بُدٌّ من الدخول، فدخلت جحافلهم إلى داخل الشيشان عيانًا جهارًا. فكان أكثر الشباب متذبذبين حقيقةً ويقولون: (جاء واحد من أفغانستان شعره طويل، حكمتيار... إلخ). فخِفْتُ أن نخرج فتخمد همّة هؤلاء الشباب فبقينا معهم. حتى ذكرت للشيخ فتحي عندما حصل هجوم داخل القرية التي نحن فيها فقلت له: (أنا لا أتحمل مسؤولية أحد، وأنا لا أعرف المنطقة، وأنا لا أريد أن أتقدَّم قبل أن أدرس الوضع)، وقلت له: (أنا لا أريد أن أقود أحدًا، وإذا تأمرني أن أبقى في مكان، فوالله لا أرجع إلى الخلف، وأقاتل فيه حتى يقدر الله أمرًا آخر).

فكنت حقيقة أخاف جدًا لأنني لم أدرس المنطقة، فكنت أذهب وأعمل مقابلات مع بعض الناس وأسألهم لماذا تقاتلون؟ إلى أن قمت بمقابلة مع شامل ومع بعض القياديات، وكانوا يظنّون أنّني صحفي. فرأيت أنّ الناس صادقة، والله يا إخوة أنّني بكيت عندما قابلت عجوز فسألتها: (إلى متى ستصمدون؟).

فقالت: (لي نحن نريد أن نتخلص من الروس).

فسألتها: (لماذا تقاتلون؟).

فقالت: (نحن نريد أن نعيش مسلمين ولا نريد أن نعيش مع الروس).





فقلت لها: (بماذا تستطيعين أن تساعدي المجاهدين؟).

فقالت: (والله ليس عندي إلا الجاكيت الذي ألبسه فأعطيه للمجاهدين).

فتأثرت وبكيت، وقلت: إذا هذه المرأة عجوز تريد أن تساعد المجاهدين، فعلى ماذا نخاف نحن ونتردَّد؟! من ذلك اليوم قررت أن أدخل مع الإخوة لتدريب الناس، وهي في الحقيقة الخطوة الأولى للجهاد في أي منطقة؛ قضية إعداد الناس وتجهيزهم.

تأسيس المعسكرات

فبدأنا نُرتِّب الشباب، فأعددنا لهم قاعدة في الجبال بعد أن طلبنا ذلك من الشيخ فتحي، فأعطانا –جزاه الله خيرًا– خريطةً، فاخترنا مدينة أو قرية فِيدِنُو وهذه المناطق، وكان فيها معسكر قديم للروس، فَجَمَعْنا فيه الشباب وبدأنا نرتب فيه برنامج تدريب للشباب.

وأذكر في أول لقاء كان هناك أكثر [من] ٨٠ شخصًا، وهؤلاء الإخوة الآن هم قيادات المجاهدين في الشيشان وقيادات المجموعات في كل مكان، وسواء الإخوة في الجماعة أو في أماكن أخرى. وأذكر أنّني سألتهم وكان يترجم لي الشيخ فتحي: (هل يريد أحد منكم أن يصبح الأمير أو يكون عنده برنامج عسكري فنسمع ونطيع له؟). فسكت الجميع. وكان القتال مُقبلًا على المناطق الجبلية، وقلت لهم: (أنا لا أدَّعي العلم أو المعرفة، وأنا فقط عندي تجربة بسيطة في أفغانستان وطاجكستان؛ فعندي برنامج له ثلاث خطوات: إعدادكم، ثم تجهزكم، ثم القيام بعمليات عسكرية، وإذا لم تجدونا أمامكم في هذه العمليات فارمونا بالرصاص أو قولوا ما تريدون). فبعد أن نعد، وبعد أن نجهز، نبدأ بضربة عسكرية نكون فيها أمام الناس؛ أنا أو من يأتي معي من الأنصار



العرب. فأعجب هذا الكلام حقيقةً كثير من الشباب، وأنا حقيقةً لم أكن أعرف الصوفيّة وعقائد الصوفية أو أعمال الصوفية أبدًا، وكنت أظن أنهم مثل الأفغان متعصبّون للمذهب أو شيء من هذا القبيل، فقلت لهم: (أنتم مسؤولون أمام الله بالشيء الذي تعتقدون به، وأنا الذي يهمني أن تصلي خمس مرات وتصوم شهر رمضان، وحفظ وقراءة القرآن والعمل والتدريب للمعركة هذا أهم شيء عندي في البرنامج).

وكان أكثر من ٨٠% من الشباب الموجودين معي في المعسكر شبابًا صوفيين؛ يعني: شباب عاديّون من أهل المنطقة. وأنا ذكرت هذا بحسن نية وكنت حقيقة أريد الهروب من مسألة الخلاف والنقاش والتعصّب المذهبي وأن يقال: هذا حنفي وهذا شافعي وهذا حنبلي؛ ولم يكن عندي ذاك العلم في قضية الإقناع أو في فهم هذه الأمور. فذكرت هذا الأمر والحقيقة الشباب أُعجبوا بهذا، وقبلوا أن يستمرّوا بالتدريب في هذا المعسكر، فكانت الصلاة في وقتها ودراسة القرآن في الصباح، وإلى آخره.

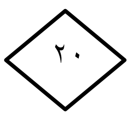
وكان هناك حقيقة حزم قوي، حتى أنّني في ليلة من الليالي طلبت من جندي أن يوقظني قبل صلاة الفجر، فوجدت أنه ليس هناك حراسة، فجمع الناس في المعسكر قبل صلاة الفجر وكان البرد قويًا الحقيقة، حتى كان العشب الأرض مثل المسامير من تصلّبه. فناديت: (افسخوا الحذاء، الجميع طابور على الوادي)، وكان المنحدر عندما تمشي عليه تلتصق رجلك على الحجر من شدة البرودة، فبدأنا نمشي إلى أن جئنا لمجرى ماء فقلت: (ادخلوا هنا، ادخلوا هنا). فغضب كل الشباب. وكانت هناك ستة مجموعات، وكل يوم الحراسة على مجموعة، والمجموعة من عشرة أفراد، فغضب الشيشانيّون كثيرًا جدًا، وبدأت أختلف معهم وأقول لهم: أن الوضع كذا والحراسة والبرنامج. فالناس لم تحتمل البرد، كنت لا تستطيع أن تتوضأ من البرد، فضلًا على أن تضع أقدامك فيه، حتى جلس بعضهم



على ركبه. فأراد أكثرهم أن يخرج من المعسكر، فأنا شغّلت السيارة وقلت لهم: (الذي يريد أن يخرج من المعسكر فليخرج). وكانت عندهم حميّة، فعندما تطرد أحدهم من المعسكر المجموعة كلها تنصره ويقولون: كلنا نخرج، وأنا في أول يوم طردت ١٥ شخصًا؛ قلت لهم: (اجمع!)، ثلاث مرات فلما لم يجتمعوا. قلت لهم: (مع السلامة)، فقال لي الشيخ فتحي: (على هذا لن يبقى عندك أحد)، فقلت له: (فقط خذ هؤلاء الخمسة عشر وبعد ذلك يصير خير). ثم بعد كم يوم طردت ١٥ شخصًا، وبقي عندي ٦٠ شخصًا. فالناس حقيقة غضبت وكنت أخاف أن يذهبوا كلهم، ولكن كنت أريد أن أُبيِّن لهم أمرًا وهو أنّ السلاح لا يحتاج التدريب عليه يومًا أو يومين، ويكفيك أسبوع أن تدرّب الناس على كل أنواع السلاح، ولكن كنت أريد أن أَصِل لأمر أهم من السلاح وهو نظام وتوجيه الناس. أنا لم أكن أستطيع أن أوجّه ٦٠ - ٧٠ شخصًا، وكنت أجعل على كل عشرة أميرًا. فقلت لهم: (هذه هي السيارة والذي يريد أن يذهب ليذهب)، فالناس تعجّبت وقالت: (ما الأمر هل هو جاد ولا يهمّه أن نجلس أولا نجلس!)، وبعضهم حقيقةً قال: (لماذا تعاقبنا جميعًا ولا تعاقب المجموعة التي أخطأت، ونحن ما هو ذنبنا؟)، وبعضهم نظر للقضية نظرة أخرى: وأراد أن يُضارب ويقول: (من هذا الذي جاء إلى أرضنا ويريد أن يعاقبنا؟). وأنا قلت لهم: (جيّد، أنا أخبركم لماذا عاقبت الجميع؛ لو جاء الروس أو المنافقون -وكانوا موجودين في ذلك الوقت فالروس قريبون من الجبال والمنافقون كثير-، فلو جاؤوا في الليل هل سيقتلون المجموعة التي أخطأت فقط أم سيقتلون الجميع؟).

فقالوا: (بل سيقتلون الجميع).

فقلت لهم: (إذًا هذا ليس خطأ واحدٍ بل هو خطأ الجميع، والقضية حساسة جدًّا).



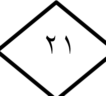


فالجميع سكت، ثم رجع الجميع للمعسكر وبدأنا في ترتيب دوراتنا، وكانت الدورة في ٢٥ يومًا، ولكن الحقيقة انضبطنا في الترتيب والنظام وكذا. وانتهينا من البرنامج العسكري الأول والتجربة كانت طيبة وبسيطة، وكان معنا أخونا أبو محمد وأخونا أبو معاذ وأخونا أبو سلمان وغيرهم من الإخوة -جزاهم الله خيرًا-، فكانت تجربة طيبة ثم بدأت الأحداث داخل الشيشان بعد هذا.

مقابلة جوهر دوداييف

وقابلت جوهر بعد هذا؛ وكنت حقيقة قادمًا لأقابل الشيخ فتحي فقدرًا كان جوهر موجودًا، وكنت ألبس لباسًا عسكريًا وجالسًا، فسمع بالتدريب الموجود هناك في منطقة فِيدِنُو. وكنّا مرة نظّمنا مناورات في الليل بالـ RBG، فسمع الجميع الأصوات فالناس قامت وصعدت الجبال، وظنُّوا أن الروس هجموا من جهة داغستان، ثم أخبرناهم أن هذا تدريب، فالناس منهم من ضحك، ومنهم من قال: (لماذا هذا الإسراف؟ وهذه الذخائر كافية لفتح غروزني)، وكلام مثل هذا، ولم يكن الناس يظنّون أن هذا التدريب له هذه الأهميّة فيما بعد.

فالمهم بعد هذا التدريب سألني جوهر، وهو الذي بدأ السؤال وكان عنده جلسة خاصّة فقال: (لماذا لا يأتي أمثال هؤلاء كثير؟)، فترجم لي الشيخ فتحي وقال: (يسألك لماذا لا يأتي أمثالك كثير؟). فقلت له: (الحقيقة القضية غامضة، والناس لا تفهم لماذا هذا القتال؟ ولأجل ماذا؟ والقضية غير مفهومة). فقال لي: (فرضًا أننا نحن قيادة غير صحيحة أو لا نُعرف أو كذا؛ أليس لهذه الشعوب حق عليكم؟ وهذه شعوب إسلامية وهذه أرض المسلمين).

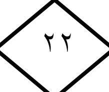




فكـان جوابًا في الصـميم، والحقيقـة أنا تعجبت أنّ جـنرال جيش يقـول هـذا الكلام! فقلت: (يا شيخ فتحي دعنا نجلس ونقوم معه بمقابلة سريعة). فقال: (جيد).

فالجلسة كان فيها صحفيِّين، فسلّم علينا بحرارة وجلسنا جلسة، فمزح معي فضربني على ظهري؛ فأنا تعجبت، شخصيّة ترى فيها الوقار وشخصيّة قويّة جدًا. فجلست معه وبدأت أسأله السؤال الأوّل: (ما هو هدف هذا القتال، وهل هو من أجل الإسلام؟). فقـال: (كـل طفـل شيشـاني وقفقـازي هُجّـر من القوقـاز، وجلس في المهجـر عشـرات السنوات يَحلم أن يعود الإسلام يومًا من الأيام إلى أرض القوقاز، وأنا مع هؤلاء الأطفال أحلم أن يرجع الإسلام إلى أرض القوقاز). فصُعقت حقيقةً من هذا الجواب وقلت له: (طيب أنتم كـانت عنـدكم فرصـة ثلاثـة سـنوات، فـالروس لم يكونـوا موجـودين من سـنة ١٩٩١م إلى نهاية ١٩٩٤م، فلماذا لم تعلنوا جمهوريّة الشيشان جمهورية إسلامية وأعلنتم الإسـلام ورتبتم أمـوركم؟). فقـال: (والله بقـدر مـا أردنا هـذا، أردنا أن نهرب من جحيم الروس، نحن كنّا نعلم أننا إذا انفصلنا عن الروس، سيهجمون علينا ثاني يوم، ولكن كنّا نحاول أن نراوغ ونقول: نحن ديموقراطيّون لنهرب من جحيم الروس؛ ولكن الروس علموا أنّنا في طريق الإسلام فدخلوا علينا).

فقلت له: (ولكن العالم الإسلامي لا يعلم ما هي هذه القضية، حتى أنكم لم تسموا جمهورية الشيشان جمهورية إسلامية حتى يعرف الناس أنها قضية إسلامية). فقال: (أنتم لا تريدون أن تعلموا ماذا يجري داخل أرض الشيشان، ولنفترض أن هذا الحدث يجري في أي بقعة في العالم أليس واجب على المسلمين أن يخرج منهم مجموعة أو لجنة ليدرسوا هذه القضية ليعرفوا القتال بين من ومن ولأجل ماذا؟).

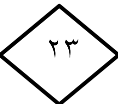




فصراحة كان هجومًا قويًا ولم أستطع أن أكمل معه، وقال: (أنتم تعرفون أن الأحداث في أرض الشيشان، وتعرفون أنها بلد إسلام، وأنت أول مسلم يسألني عن هذا الأمر، في حين أنه عندما كنّا تحت القتال وتحت القصف كان الصحفيون من BBC و CNN والعالم الغربي كله يركع عند أرجلنا يطلب منّا مقابلات حتى يدرس القضية، وحتى يعلم لماذا نقاتل؟ وما هي القضية؟ وهل نحن مسلمين أو نصارى؟ كانت أسئلتهم أسئلة عجيبة، وهم لم يأتوا للشيشان إلّا بعد الأحداث. وإلى اليوم انظر إلى الصحفيين هنا؛ كم واحد منهم مسلم؟ ولا صحفي مسلم واحد جاء ليسأل عن القضية لينقل للمسلمين حقيقة الواقع!).

والحقيقة أنا بعدها بدأت في الدفاع فقلت له: (أنتم حقيقةً أرضكم محاصرة والوصول إليكم صعب). فقال: (العالم الإسلامي هذا كله لم يستطع أن يرسل وفدًا أو لجنة أو أحدًا لينظر في قضية من قضايا المسلمين؛ في حين العالم الغربي وأوروبا أرسلت وفودًا، والحقيقة أنتم الذي تحتاجون المساعدة وليس نحن!). وقال: (إن شاء الله، نحن عندما تنتهي عندنا القضية هنا نأتي لنساعدكم). فبعد هذا لم أستطع أن أكمل معه وبدأت أرقّع، فقلت: (إن شاء الله، نحن أتينا وخلفنا ناس كثير، وهناك أناس كثيرة صادقة والأحداث كانت سريعة والأمور سريعة وكذا).

وأنا ذكرت هذه القضية للإخوة في رسالة أرسلتها مباشرةً لأخينا أبي محمد والإخوة في الجزيرة، فقلت فيها: (حقيقةً لا أريد أن أمدح الرجل هذا، ولا أريد أن أزيد فيه، ولا أريد أن ألمع فيه، وكفانا تلميع لقضايا سابقة ولشخصيات سابقة، ولكن أقول أن الرجل شخصية قوية جدًّا، ولعلّ الله -سبحانه وتعالى- أكرم شعوب القوقاز بمثل هذا الرجل، وأنا لا أعرف ماذا في داخله ولكن في هذا الوقت هو رجل قوي جدًّا، ولو وُجد رئيس





فيه بعد ١٠% أو ١٥% لكان استمر القتال إلا أن يشاء الله -سبحانه تعالى-).
ذكرت هذا كتعليق بعد أن كتبت هذه الأسئلة والأجوبة للإخوة.

المفاوضات

ثم بدأنا بعمل الدورات وبعض العمليات، بعدها جاءت عمليات بُدْيُونُوْسْكْ فقال لي شامل: (إن شاء الله، تنتهي القضية خلال أيام). فقلت له: (هل بعد أن يخرجنا الروس وتكون هناك هزيمة؟). فقال: (لا، إن شاء الله نصر). وأعطاني هدية مسدسًا مع كاتم، فقلت له: (دعه معك لعلك تحتاجه). فقال لي: (بل تدعه معك، وأنا أعلم أنه صعب على نفسك)، وأنا كنت أجلس في أبخازيا عندما لجأ الناس للمفاوضات مع الروس، كان أمرًا صعبًا علينا بعد أن قُتل منا واستُشهد كثير من المجاهدين. فقد يكون هذا صعبًا عليك، ولكن نحن -إن شاء الله- لسنا مثل الأبخاز ولسنا مثل الآخرين.

ثم جاءت عملية بُدْيُونُوْسْكْ داخل روسيا، وأُجْبِرت روسيا على المفاوضات، ورجعت روح الجهاد من جديد في نفوس الناس، وكبَّرت الناس تكبيرًا كثيرًا وصل إلى شرق الأرض وغربها. بعدها بدأت أُدخل الناس في برامج وبدأنا نرّتب أنفسنا، واشترينا سلاحًا وذخائر ورتّبنا أنفسنا، وكانت فترة المفاوضات ٤ شهور فترة طيبة جدًّا. وبعدها أعلن الروس الانتخابات، وكان هناك رئيس ووزراء، فالمفروض أن يخرج الروس بعد المحادثات، فقال الروس: نحن نخرج ولكن بعد أن تصير انتخابات. فجرت الانتخابات وشارك فيها الجنود الروس، وكان عددهم مليونًا والشعب الشيشاني كان مليونًا ونصف، فربحوا الانتخابات وانتخبوا العميل خليل حكم زَوْغَايِيفْ، عندها مزّق المجاهدون الأوراق وانتهت المفاوضات وبدأت العمليات العسكرية. وكانت أول عملية (عملية خَارَاتْشُويْ).





وطبعًا، أنا سعيت بعدها أن أسأل وأنسق وأشاور، وكان كل الناس يقولون لي: (انتظر فنحن عندنا برنامج وكذا). فنحن سعينا أن نرتب أمورنا وانتهت القضية، والحرب حرب والقتال قتال، وأنا ترصَّدت ومللت من كثرة الترصد والأمور مضبوطة، ودخلنا أول عملية بعد خمسة أيام من انتهاء المفاوضات بين الطرف الشيشاني والطرف الروسي في خَارَاتْشُويْ في جنوب فِيدِنُو.

وكان لها أثر كبير حقيقة، وانطحن الروس فيها طحنًا، وسقطت فيها خمس آليات وقُتل ٤١ قتيلًا منهم ٥ ضباط، وهذه أول عملية نتجرّأ فيها. فمن قبل كانت للآليات هيبة كبيرة في نفوسنا، ولم يُجرح أو يُقتل منّا أحد، وجُرحت أنا جرحًا بسيط مع أحد القادة، بسبب انفجار إحدى الآليات بعد انفجارها بسبب الذخيرة التي فيها. وغير هذا لم تحدث أي أخطاء. وبدأت تتضارب الأخبار من نفذ العملية المجموعة الفلانية، إلى أن عرف الناس أنّنا من فعل هذه العلمية بعد ٣ أو ٤ أيام.

العملية الثانية (عملية سِرْجِنْيُورْتْ)

ثم تجمع الشباب، وبدأنا نرصد لضرب قافلة أخرى. وبعد شهرين، ضربنا قافلة في أحلك وقت؛ حيث كانت القوات الروسية هاجمة هجومًا ضخمًا جدًّا على الجبال، فضربنا فيها قافلة وكانت قاصمة ظهر لهم في داخل سرجنيورت. وكانت القافلة بها ١٠٠ آلية فضربنا منها ٤٧ آلية، وأخذنا منها غنائم كثيرة، وكانت القافلة تابعة لفرقة أَسِيتِينْ المسمّاة: (فرقة العقرب)، وكانت هذه من أخبث الكتائب التي شاركت في مجزرة سَامَشْكِي في شمال غرب الشيشان. وكانت الحقيقة عمليّة طيبة، وعرضنا تفاصيل العملية في أشرطة فيديو لعلّها عند الإخوة، نحن كنّا قد رصدنا قافلة من ٣٠ شاحنة تأتي بالتموين والذخائر؛ فجاءت قافلة فيها ٦٣ مجنزرة و ٨ دبابات في المقدمة والباقي



آليات، فتركنا هذا النصف يذهب في المقدمة وأقمنا كمينًا للقافلة طوله ٢.٥ كلم، فضربناها ضربًا ونتفنا الروس فيها تنتيفًا.

وقُتل لنا في هذه المعركة ٤ من خيرة الإخوة نسأل الله أن يتقبلهم، ثم في الصباح استشهد لنا ٥ وجُرح ٢١ من الإخوة، والجروح كانت خفيفة، وكانت كلها بسبب أخطاء، كانوا دخلوا ليقطّعوا رؤوس الجنود الروس فكان أكثرهم يمسكون قنابل.

الفرقة الأستاينية

والأستين كانوا خبثاء، وانطحنوا في الشيشان، والروس الخبثاء كانوا يضعون الصلاحيات للجنود الأستين وغيرهم من هذه الفرق في استخدام المخدرات واستخدام الخمر والاعتداء على النساء وسرقة أيّ شيء؛ في حين أنهم لا يسمحون بشيء من هذا للجنود الروس.

والأستين هؤلاء من القوقاز؛ فهم يريدون أن تكون هناك مشاكل وفتن فيما بعد داخل الشعب القوقازي والشعب الشيشاني. الفِرق التي من القوقاز يعطوهم الصلاحيات ليفعلوا أي شيء، في حين الجنود الروس لا يفعلون شيئًا؛ فهم يخطّطون بعيدًا حتى إذا خرج الروس من هنا، تكون هناك مذابح ومقاتل بين الشعب الأساتيني والشعب الشيشاني. فالفرقة الأساتينية عبثت عبثًا كبيرًا داخل الشيشان، قتلت وحرقت الكثيرين، والخبثاء في القيادة الروسية تفكّر بهذه الطريقة، وإلى الآن الفرقة الأسيتينية تقاتل في داخل الشيشان.



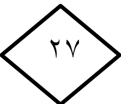


العملية الثالثة (كمين شَاتُويْ)

وبعد هذه العملية حقيقةً أخذنا خبرة طيبة وبدأنا نرتّب الأمور ونترصَّد على الآليات. بعدها بأسبوعين مباشرة طلبتُ من شامل أن يعفينا من إمساك الجبهة، فنحن نريد أن نذهب لمكان، فقال لي: (لعلّكم تريدون أن تستريحوا، جزاكم الله خيرًا أنت عملتم جيدًا فاذهبوا وارتاحوا). فأول ما قال لي هذا، أخذت الناس وذهبت وترصّدت المنطقة، وعندما رجعت، كان أبو الوليد والشباب الذين دخلوا معي في اتصال، فقالوا: (يا خطاب كيف الترصد وكيف الأمور؟). فقلت لهم: (كبروا من الآن، الله أكبر). فكبّروا، فدخل حكيم -رحمة الله عليه- وأخونا يعقوب والشباب يقولون: (ماذا هناك؟ ماذا هناك؟)، فقالوا لهم: (صاحبنا رجع من الترصد)، فكبّروا معهم.

وثاني يوم ذهبنا لهناك ورتّبنا أمورنا، وفي ذلك اليوم دخلت قافلة من ٣ - ٤ دبابات و ١١ مجنزرة و ٤ صهاريج والباقي شاحنات؛ فطُحنت كلها ولم يخرج منها أية آلية، نجا منها فقط ١١ جنديًا كانوا في آخر آلية فتركوها وهربوا عبر النهر. فخلال أسبوعين تمَّت عمليتان، فتوقّفت العمليات الروسية في الجبال، وانسحب الروس من الجبال، وارتفعت معنويات الناس كثيرًا، وانحطّت معنويات الروس وانهزّت.

وبعدها أعلن جوهر دوداييف: انتهاء الحرب النظامية وبداية حرب عصابات التي سوف تستمر ٤٨ سنة؛ فهو يقول: الحرب ٥٠ سنة مضى منها سنتان، وباقي ٤٨ سنة (يعني: حرب نفسية)، فالروس انهارت معنوياتهم. وبعدها دخل المجاهدون غروزني، وكانت هذه من أفضل العمليات التي منّ الله -سبحانه وتعالى- بها على إخوانكم في أرض الشيشان.



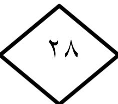


وأيضًا كانت هناك عملية أخرى، وهي قافلة ثالثة انتظرناها ١٧ يومًا فلم تتيسّر، وبعد هذا أخذنا موقعًا كاملًا للروس، وضربنا طائرات هليكوبتر وراجمات الصواريخ (جراد)، وأخذنا ٥ آليات و ٣٠ جنديًا، منهم ٣ ضباط.

فوائد العمليات الأولية

أعطت هذه العمليات حقيقةً ثقة بيننا وبين الشباب، أننا نستطيع أن نُخطّط وأن نعمل من دون أن نطلب من أحد شيء، والحرب حرب في أي مكان. وأقول: هذا كان بفضل الله -سبحانه وتعالى- ثم بالاستراتيجية التي اتَّبعناها، بأن نكون مستعدين تمامًا للعمل وترتيب البرامج العسكرية دون أن نطلب من أحد شيئًا. فكانت عندنا مواصلاتنا الخاصة، وكانت عندنا سيارتنا وتمويلنا وذخائرنا، حتى أذكر أن الروس -والله- لم يأخذوا منّا صندوقًا واحدًا من الذخيرة سلبًا، كنّا إذا لم نستطع أن نأخذ شيئًا نلجأ للإحراق، والروس أخذوا الأرض كلها، وأخذوا من الشيشانيين ذخائر وأحرقوا سياراتهم وصارت لهم مشاكل كثيرة.

فهذه كانت تجربة الحرب الأولى، والروس دخلوا الحرب بغير استعداد وعلى عجلة ولم يُوفَّقوا فيها. ورأوا أنّ على القوات الروسية: أن تخرج من الشيشان وتُعِدّ العدّة من جديد لخوض حرب جديدة في أرض الشيشان، بعد أن تعدّ العدّة وتقوم بترصد دقيق على أرض الشيشان، ومعرفة قيادة المجاهدين، ومعرفة أمور المجاهدين. هذه كانت الحرب الأولى، والمشاركات التي شاركنا فيها، والتجربة التي بدأنا فيها، والتي أتمنّى من جنود الإسلام في أي مكان أن يَسِيروا بنفس الاستراتيجية، وبنفس هذا النظام في تقديم النصرة لأي قضيّة من قضايا المسلمين.





أقول: هذا الذي نرجوه من جنود الإسلام في أيّ قضيّة؛ أنهم إذا جاؤوا إلى قضية فمباشرةً يتّفقون مع القيادة وأعلى سلطة فيها، ويزورون المنطقة ويقومون بدراسة للمنطقة، ثم يُعدُّون العدّة كاملة؛ من مواصلات وتموين ونقل وعلاج الجرحى، فيرتّبون هذه الأمور كلها، ثم مباشرة في وقت واحد تدخل المجموعات وتبدأ بتدريب الناس.

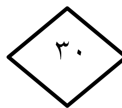
ارتباط العلم بالعمل

وأقول: أمر ما استفدناه إلّا بعد القتال؛ أهم شيء المعهد والدعوة. فهي –والله– أهم من المعسكرات، وأهم من العمل العسكري بحد ذاته، وهذا حقيقة ما فهمناه إلا بعد القتال وبعد أن أسَّسنا (معهد القوقاز للدعوة وإعداد الدعاة). فخرجت شخصيات عجيبة بعد أن تعلَّم الناس دين الله –سبحانه وتعالى–، وفهموا القرآن وفهموا الحديث وفهموا الجهاد، ثم بعد أن أرسلناهم لمعسكرات التدريب تفجَّرت الطاقات، والله ضربوا أروع الأمثلة في قتالهم ضد الروس. فمباشرةً، لا بد من طاقم يُرتّب أمور الدعوة ويكوِّنون معهدًا صغيرًا، وبعد المعهد يُرسَلون مباشرة إلى معسكرات التدريب، ومن خلال هذا الأمر يتكون عندك مجموعة من الشباب تثق فيهم وفي دينهم وفي أمانتهم وفي أن يستمروا معك. أما أن تأتي مع من هبّ ودبّ، وتبدأ تضع هذا مسؤولًا وهذا قائدًا، فالحقيقة لسنا في حاجة لمثل هذه الأمور. تأتي مباشرة وتكوّن معهدًا صغيرًا ومكانًا للتدريب، وتأخذ عشرين أو خمسين شخصًا، وتُقيم لهم دورة لمدّة شهر أو شهرين، ثم ترسلهم عند الإخوة في المعسكر ليتدَّربوا. ومن خلال معايشتهم لشهرين أو ثلاثة، تعرف الشجاع منهم وتعرف الصادق وتعرف الخبيث. والذي لا يصبر معك خلال شهرين أو ثلاثة في دورة تدريب، فماذا تحتاج منه؟! فلن يصبر معك مثل هذا في العمل، فاتركه يذهب للبيت أفضل، ولو لم يبقَ معك من هؤلاء الخمسين أو المائة إلا عشرون يكفي. ثم بعد



ذلك يكون للإخوة طاقم ثالث: يترصّدون ويجمعون أخبار المنطقة وأماكن العمليات ويُرتّبون الأمور مع القيادة. ولا داعي لخوض النقاشات و يمين ويسار، فوالله العظيم نستطيع عمل برنامج مثل هذا في أي مكان؛ في روسيا أو في سيبيريا أو في الصين أو في أفريقيا، إذا كان هناك مسلمون تأتي وتقول: بسم الله وتدرّب وتبدأ وانتهى الأمر.

الأمة الإسلامية اليوم، تقطّعت وماتت وضاع فيها دين الله والشريعة، وضاع فيها كل شيء؛ ثم نأتي نحن لنقول: هل هذا فاهم الدين؟ وهل هذا عنده عقيدة أو ليس عنده؟ كيف يكون عنده عقيدة؟ ومن أين لهؤلاء الناس عقيدة ونحن تركناهم أكثر من ٢٠٠ أو ٣٠٠ سنة، وانطحنوا تحت الشيوعية ٧٠ سنة؟! أي عقيدة نسأل عنها نحن هنا؟! فلو قلنا: هؤلاء ليس عندهم عقيدة وهؤلاء صوفية، فنحن الظالمون في هذا الأمر، ونحن المذنبون في هذا الأمر، نحن هناك نعيش ونأكل ونشرب، ثم نأتي ونطالب هذه الشعوب ونطالب هؤلاء الناس بالعقيدة الصحيحة وبفهم الشريعة ودين الله! لا يمكن هذا. الظلم واللوم علينا نحن، نحن أبناء التوحيد ودين الله –سبحانه وتعالى–، نحن ممّن يفهم دين الله –سبحانه وتعالى– في الجزيرة وفي العالم الإسلامي والعربي، نحن الذين يجب علينا أن نبلغ الرسالة والدعوة، بأن نشارك الناس همومهم، ونخوض معهم ونعيش معهم حتى نعالج هذه الأمور عن قرب. فهؤلاء الناس في أي مكان، تستطيع أن تذهب لهم مباشرة وتعلّمهم دين الله –سبحانه وتعالى–، والله العظيم إن رأى هؤلاء الناس صدقًا في التعامل وأنك تشاركهم همومهم؛ فإن الناس تفهمك بصدق ولن يكون هناك مجال للمجاملة والمراء والكذب. ثمّ نشكّل هؤلاء الشباب الخارجين في التدريب وننظّمهم، ثم نحاول أن نقوم بعمليات بسيطة، مرة ومرّتين وثلاث، ويشاركون إذا كان هناك برنامج عام، وإذا لم يكن هناك برنامج عام فهم يعملون.

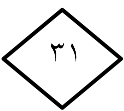




فأقول: أنه صار في نهاية الأمر، شباب أكثر المجموعات الشيشانية يقولون لنا: (إذا عندك عمليات لا تنسانا)، هذا بعد أن كنت أنا من يسألهم في البداية: (إذا يوجد عنكم شيء فقولوا لنا). فصاروا هم يأتون عندنا ويقولون: (نحن مستعدون لنعمل). وأثبت الإخوة تواجدهم في المنطقة وترصَّدوا وفهموا المنطقة، والأمر يأخذ منك من شهرين إلى خمسة شهور وتكون قد درست المنطقة دراسة تامة، ويكون عندك ناس تثق بهم وشباب وتبدأ، وهذا هو التأسيس الصحيح، وهؤلاء الناس سيكونون فيما بعد قياديون ويُمسكون الجبهات ويكون الدَّور الكبير لهم.

فمثلًا نحن في أفغانستان، كانت هناك مشكلة كبيرة؛ أُنشئت المعاهد والجامعات، وأُنشئت أمور جبارة في الدعوة -جزاهم الله خيرًا-، وإن كانت من أناس لهم منهج معين، وآخرون لهم منهج ثان وثالث، ولكن الناس اجتهدوا. ولكن بعد أن انتهت ٤ سنوات من الدراسة، أين مصير ذلك الذي درس؟ لقد أصبح يعمل طباخًا في المضافة الفلانية أو عند فلان من الناس، أو ذهب للخليج لأنّه يعرف اللغة العربية أو صار تاجرًا! فكان من المفروض مباشرة أن تُكمَل السلسلة التي ابتدأت، فقد بنيت أساسًا عظيمًا، بعد ذلك شكّله في الجبهات عند المجموعة الفلانية، وأعطِه السلاح والذخيرة وقل له: بسم الله. فهؤلاء الناس سيكونون قياديين فيما بعد، ويمسكون دفَّة الأمور، بدل من أن يمسكها أناس حشاشون وليس عندهم علم.

لكن هؤلاء قالوا: نريد مجاهدين فقط، وهؤلاء قالوا: نريد دعاة فقط، فضاعت الأمور بين الشرق والغرب بدل أن تتّحد الأمور. فانظر الآن كثير من الطلبة عملوا عملًا جبارًا وقاموا بالكثير مما كان يتمناه المسلمون. فالعمل الدعوي مرتبط بالعمل الجهادي ارتباطًا وثيقًا، فلا يمكن أن ينفصل عنه. فهذه هي الاستراتيجية التي يجب أن يعمل بها الإخوة



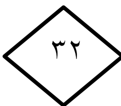


في أي قضية، وهذه تجربة خاضها إخوانكم وكانت ناجحة وطيبة جدًا. والحقيقة جعلت الإنسان يثق بنفسه وبمن معه وبأنهم يستطيعون أن يقوموا بعمل من دون تردد وخوف من الهزيمة.

إنجازات وحوادث ما بين الحربين

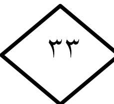
بدأنا في الإعداد بعد أحداث الشيشان بطلب من الناس كلها؛ بطلب من القيادة الميدانية وقيادة الجيش ومن الرئيس. فكان هناك تدريب، لأنّه لم يكن أحدٌ مطمئنًا من خروج القوات الروسية، فقد أخذ خروجهم من ٥ - ٦ أشهر. فبدأنا نُعدّ العدة، ونرتّب المعسكرات، وندرّب ونعلّم الناس في المعهد، وبدأت تتوسع العلاقات مع مئات من الشباب، وبدأنا نرتب الأمور.

والحقيقة، كانت عندنا مشاكل كثيرة جدًا في المادّة؛ الأمور الاقتصادية كانت صعبة للغاية، وكنا مقتصرين على أعداد معينة، وبعد ذلك الإخوة -جزاهم الله خيرًا- بدؤوا بنشاطات طيبة. فبفضل الله -سبحانه وتعالى- ثم بفضلهم، بدأنا نتوسَّع، وصرنا نستقبل في الدورة الواحدة ٤٠٠ من الشباب. وبدأ الشباب يأتي من كل القوقاز؛ من الأنجوش والقرتشاي والقبردين والبلقار والداغستان والأوزبك. وأصبح هذا يهزّ الروس، وبدأ الشباب يأتي، ويتعلّم ويتدرّب ويذهب. وأصبحت الدنيا خليّة نحل، لا نعرف الداخل من الخارج. وبدأنا نحاول أن نعمل نظامًا. وأقمنا دار تحفيظ للقرآن الكريم، ثم أقمنا برنامجًا لإعداد الدعاة، ثم أقمنا محاضرات في داخل القرى، ثم التعليم الأساسي، ثم أقمنا دورات رفع المستوى لإعداد الدعاة. وكذلك التدريب نفس الشيء؛ تدريب ثم دورات خاصة، ودورات ثانية، وثالثة، ورابعة. وبدأت الأمور تتوسَّع، وكان كل واحد من الإخوة له دور وكان له عمل وجهد. فالإخوة حقيقة جزاهم الله خيرًا.





وناسبنا النَّاس هنا، وجعلنا منهم أقاربًا وأرحامًا، وأصبحت المسألة منتهية، فلا أحد تجرّأ أن يفعل شيئًا؛ لأننا صرنا أنسابًا لهم وأقاربًا. فصار الناس يردّون على بعضهم البعض، ونحن لا نتدخل بينهم. وهذه من أهم النقاط؛ أن لا يتدخل الإخوة بين الناس في مشاكلهم الداخلية، والله ما كنت لأسمح للإخوة بأن يخرجوا إلى الأسواق، وما كنت أسمح لهم بأن يمروا في القرى والمدن أو أن يذهبوا على أي مكان. فكنّا نقول لهم: جزاك الله خيرًا، أنت جئت هنا لنصرة الدين، الآن القتال انتهى؛ فإمّا أما أن تذهب أو تشارك في مجال الإعداد مثلًا، أو تشارك في مجال الدعوة إذا كان عندك علم ومهارات في الدعوة فتشارك في المعهد. أما أن يبقى هكذا دون عمل فلا يُقبل؛فالإنسان الذي ليس له شغل فسيُشغل بأشياء أخرى، فإمّا هنا أو هنا أو مع السلامة. فكثير من الإخوة ذهبوا، والإخوة قالوا: (والله نحن نريد أن نقدّم ونخدم بالشيء الذي نستطيعه)، فجزاهم الله خيرًا، امتثل الإخوة للأمر. وكنا حقيقةً لا نُحابي أحدًا وكنا صارمين في الأمر. وكان أخ واحد يذهب للسوق، ويحضر كلّ طلبات الإخوة، وليس على الأخ –حتى وإن كان أخًا متزوجًا– إلّا أن يكتب طلبه في ورقة، والإخوة يأتون له به خلال يومين. وما كان هناك سبب للخروج. والحقيقة، كان الناس من المنافقين وأعداء الله والصوفية في الإعلام وفي المساجد في كلّ مكان؛ فلم نكن نريد أن نعطي أحدًا مدخلًا علينا. والحقيقة، أقول: إذا كنت غريبًا في بلدي، فمن السهل جدًا أن أسحبك إلى مستنقع من المشاكل وأُقحمك فيها؛ وبعد ذلك، يكون الحل أن أُخرجك من بلدي. فالإخوة لو ذهبوا الأسواق وصارت لهم مضاربات أو استدرجهم أحد –لا قدر الله– إلى أمر ما؛ فستكون مشاكل كثيرة، فقطعنا هذا الأمر. والله ما دخلت العاصمة جروزني إلا لزيارة أحد، وما أذكر أني ذهبت لها إلّا مرّة واحدة، رغم أنّي أعرف كلّ الناس، وكلّ القادة فيها، وكثير



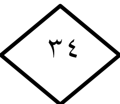


من المرّات استدعونا. ذهبت إليها مرَّة واحدة، وكانوا يوزّعون فيها ميداليات شكر وتقدير، وشيء من هذه الأمور، كانت هذه مرة واحده أصروا فيها عليّ أن آتي.

وأذكر صارت مشاكل في الداخلية وكذا بين المجموعات، وليس هناك داعٍ لذكرها، أمور كثيرة ولعلّنا لو أردنا ذكرها لسجلت شرائط أخرى. فأيضًا، كانت تجربة داخلية صعبة جدًا، واستدعوني عدة مرات، وطلب مني شامل أن آتي وأتكلم وأبيّن أنّه ليس لي دخل في مثل هذه الأمور. فقلت له: (أنا الحمد لله، أعلم علم اليقين أنني ليس لي دخل، ولم أسعَ في مثل هذه الأمور، وليس لي حاجة أن أقف أمام هؤلاء الناس بعد أن كنت في يومًا من الأيام مجاهدًا تشكر له النّاس وتقدّر؛ ثم آتي اليوم وأقف أمام الناس لأقول لهم: لا. والله أنا لم أتدخّل، وأنا ليس لي دخل، لا أحتاج أن أقف أمام الناس هذا الموقف، وجزاك الله خيرًا مع السلامة). فوالله أُعجب بهذا القول، وقال: (نعم، هذا فكر صحيح).

وأيضًا، جاء بعض الناس عندما صارت بعض المشاكل ليقولوا: نحن نقف معك وكذا، أو نقاتل معكم وكذا ؛ فقلت لهم: (أنا والله، لا أحتاج شيئًا، لا لشخصي ولا لمن معي من الإخوة، أنا لا أحتاج منك شيئًا، والله لئن جاء شيء فأنا مستعد أن أُقتل أنا ومن معي من الإخوة -وكان عددهم ٤٠- ولا أطلب منك شيئًا). فقال الناس: (ماذا تقول؟!). فقلت: (نعم، إن كنت تريد أن تقدّم شيئًا لله -سبحانه وتعالى- فجزاك الله خيرًا، هذا المعسكر يتدرَّب فيه أبناؤكم من شباب القوقاز، وليسوا أبناء عمي ولا أناسًا من عربستان، وأنا لست بحاجة لهم).

في الحقيقة الناس تعجّبت؛ حتى شامل لما صارت مشاكل في غُودِرْمِيسْ جاء عندي في البيت وقال لي: (نحن اليوم صارت عندنا مشاكل وتكلمنا مع الناس[...])، والحقيقة





كان الموقف كبيرًا، قال لمسخادوف: (إذا أردت أن توسّع نطاق المشاكل، فأنا أول واحد يقاتل ضدك، وأقف مع الإخوة هناك في خندق واحد وأقاتل ضدك). فالناس صُعقت من هذا. فجاء ليذكر لنا هذا الشيء وأنّه فعل هذا من أجلنا وكذا، فأيضًا أعطيته نفس الجواب، وقلت له: (والله، إن كنت عملت هذا الأمر لأجل خطاب أو لمن معه، فجزاك الله خيرًا لا تعمل هذا الشيء مرة ثانية، ونحن لم نسألك هذا ولا نحتاج منك هذا الأمر). فقال: (ما الذي تقول؟!). فقلت له: (نعم، إذا كنت عملت هذا الأمر لله، ولأنّ هذا مكان لخدمة الإسلام ولخدمة شعوبكم فجزاك الله خيرًا، أمّا أنا فلا أحتاج له). فسكت وتغير تمامًا وقال: (نعم هذا مفهوم). فقلت له: (جزاك الله خيرًا).

فهذا أمر مهم جدًا، متى ما بدأ الإخوة يحتكّون بالناس تحصل مشاكل؛ فالمنافقون والعجم يصطادون في مثل هذه الأمور. وهذا ما صار عدنا في بيشاور، فقد كان العرب أكثر من الباكستانيين في سوق بيشاور، وفي السيارات كانوا أكثر من الباكستانيين، وكانت هناك مشاكل ومضاربات كثيرة، ومن يرمي قنبلة على الشرطة ومن يتضارب ومن في السجن؛ يعني: كان (فيلم كرتون) في بيشاور! وكذلك حصل نفس الشيء في البوسنة بدأت عشوائية وكذا.

فنحن بعد أن انكوينا في الشرق والغرب، فهنا أمسكنا الأمور بحمد لله، وكان العدد قليلًا واستطعنا التَّحكم وأن نسيطر عليه، وأيضًا كانت الأمور محدودة وكذا، ولم يكن هناك توزيع كثير للمجموعات، والحمد لله يسَّر الله الترتيب بهذا الشكل. بعد ذلك بدأ الإخوة يشاركون مشاركات طيبة جدًا، وبدأت الأعداد تكثر إلى أن بدأت أحداث داغستان.



ممهدات الحرب الثانية

ولعلّ الكثيرين يظنون أن الإخوة تعجَّلوا في هذه الأحداث، وأن الإخوة هم البادئون، وكثيرون يضعون اللوم علينا، فأقول: الجيش الروسي مصّ دماء المسلمين، وهتك ودمّر أرض المسلمين تدميرًا لا يعلم به إلا الله -سبحانه وتعالى-؛ من أفغانستان إلى طاجيكستان إلى البوسنة إلى الشيشان، ثم اليوم عندما يبدأ جنود الإسلام العمل يُوضع اللوم علينا؟!

وإذا كنتم تريدون الرد من أرض الواقع؛ فالروس وقّعوا معاهدة لمدة ٥ سنوات، وكانوا يُريدون إعداد جيوشهم، وكان الجنرالات يقولون: (نحن سنرجع). ومسخادوف بنفسه أعلنها في التلفاز وقال: (قال لي الجنرالات الروس: سنعود ولو بعد حين). فهم أعلنوها وقالوها، ومع هذا يقول الناس: (لماذا بدأتم أنتم؟)، ويقولون أنهم سيعودون، ولكن متى يفهم أبناء الإسلام هذه القضية؟!

ومباشرة بعد أن خرجت القوات الروسية، دخلت عناصر الاستخبارات للدراسة والمعرفة وجمع المعلومات ورصد الطرق؛ درسوا جمهورية الشيشان دراسة دقيقة، وزرعوا منافقيهم وفتحوا سكة الحديد ثاني يوم؛ ليس هنالك مطار، ولكن سكّة الحديد مفتوحة والمنافقون في ذهاب وإياب. وقال لنا عناصر الاستخبارات الروسيّة قبل سنة ونصف: أن الروس سيدخلون من الجبال. نحن أمسكنا عندنا في المعسكر أكثر من ٣٧ عنصرًا من عناصر الاستخبارات داخل المعسكرات جاؤوا لقتل فلان وعلّان؛ يعني: قتل شامل وخطاب وبعض القيادات، هذه اعترافاتهم، أليست هذه حربًا؟!

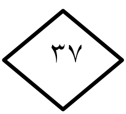
الدول تقوم بحروب لسنوات فقط لتجسس دولة على دولة بشخص واحد، والآن نحن نمسك عناصر المخابرات بالعشرات، وبعد هذا يقال: لا، لا، هذا لا يجوز، يجب



أن يأتي الروس ويطحنونا ويدكّون الدنيا، وبعدها نرد، مثل أي قضية نلحقها بعد فوات الأوان، بعد أن تتدمَّر الدنيا وتبدأ المآسي وتبدأ ردة الفعل، ويبدأ التلفزيون يُبيّن لك القتلى والنساء اللاتي هُتكت أعراضهن والناس تبكي. يا أخي سئمنا من هذه المناظر، واللبيب بالإشارة يفهم. فالروس ينوون الدخول، والأمر قاب قوسين أو أدنى، وكانت هناك مشاكل داخل الشيشان؛ تفجيرات ومحاولات اغتيالات، وكانت هناك محاولة لاغتيالي حيث فجَّروا سيارة وصار إطلاق نار، يعني: لم يكن أمرًا بسيطًا، فماذا تريدون أكثر من ذلك؟! وشامل كانت عليه محاولة اغتيال، وكانت هناك مشاكل بين الشيشانيين، وكلها من طرف الروس وعملاء الروس من المنافقين.

العالم الإسلامي رمى الشيشان، بعد أن انتهت الحرب، حاول الناس أن يُقيموا حكومة والمجاهدون لم يكن عندهم شيء، ويأتي أحد المنافقين هؤلاء، ويجهّز مبنى ويضع الكمبيوتر ويقول: (أنا سأصبح الوزير الفلاني). فأكيد مسخادوف سيرضى بهذا، يأتي الرجل جاهزًا ليعمل، وعنده خبرة ودراسة وشهادات، في حين لو أتى بأحد المجاهدين وقال له: (أمسك وزارة الداخلية أو الوزارة الفلانية)، فسيقول له: (أريد طاولة ومبنى وسيارة وملابس)، طلبات لا حدود لها، فمن أين سيأتي بها؟ فهو لا يستطيع أن يرتّب حكومة لأنه لا يوجد لديه إمكانيات، في حين أن البلد كانت تحتاج إلى طاقم جديد بسرعة.

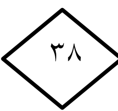
وهذا الذي أفلح فيه المنافقون، فدخلوا الحكومة وأصبح المجاهدون في الجمارك أو في الشرطة أو حراسة السجن أو يفتّشون على البنزين، وأصبحوا في اشتباكات مستمرة ومشاكل مع الناس، في حين أمسك هؤلاء الكلاب من المنافقين الأمور المالية والإدارة وكل شيء ويأتيهم التمويل من الروس، هذا الذي حدث. ونحن المساكين ابتعدنا، كنّا





فقط نبحث عمّا ندرّب فيه الناس، ونبحث عن طحين وأكل للناس، ونُسيّر أمورنا بالقروض، والله كانت تصل القروض إلى مائة ألف ومائة وخمسين ألفًا، ونأخذ من هنا وهناك حتى تسير أمور المعسكر. وكنّا -والله- نتألّم ونخاف أن يقف هذا العمل الكبير بسبب التمويل. وكانت الناس خائفة من التعامل معنا، وكانوا يقولون: (هؤلاء الناس انتهى دورهم، وهؤلاء فقط للدعك والقتال، والآن انتهى القتال، فيجب رميهم في الزبالة). هكذا كان يفكّر الناس، ويخافون أن يتعاملوا معنا، خاصّة بعد عملية داغستان، بعد ما هجمنا على فرقة بُوينَاكْسْكْ، فالناس ألغوا تعاملهم معنا وشطبوا على اسمنا بالأحمر وبجميع الألوان. حتى أنّ بعضهم كان يقول لنا: (جزاك الله خيرًا، إذا أردت أن تكتب لنا رسالة فاترك أسفلها مفتوحًا، ولا تكتب اسمك)، ثم قالوا: (طيب، إذا أردت أن تكتب رسالة فاكتب باسم المعهد أو المؤسسة ولا تذكر اسمك). فقلت لهم: (ابشروا لا نكتب شيئًا، نرسل رسالة بيضاء واكتبوا أنتم فيها ما تريدون).

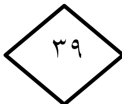
فأقول كانت الأوضاع صعبة، وكانت بوادر الحرب واضحة، يفهمها الذي يعرفها والذي لا يعرف لا يفهمها، قليل هم الفاهمون الوضع. فبدأنا نرتب الأمور، وكانت الأمور ليست بالشكل المطلوب. صحيح أنّنا علّمنا ودرّبنا وتجهّزنا لكن كان الوضع صعبًا في داخل داغستان في ذلك الوقت. وهذا بعد أن دخل الروس على ولاية شِلْكَوْسْكُويْ وعلى ولاية نَوُرْ، فدخلوا الحدود وضربوا. وكان الطيران يطير فوق جروزني بعد انتهاء القتال بسنة، وكذلك كانت الطائرات العسكرية تحلّق فوق المعسكرات وتصوّر، فهل هذا حال حرب انتهت؟! دع أي طائرة تدخل أي مجال جوّي في أي بلد؛ ألا تقوم الحرب بين الدول بسبب هذا الأمر؟! أما نحن فيقولون لنا: (لماذا فعلتم ولماذا بدأتم؟!) ويبدؤون يرقّعون.





المهم دخلنا ورتبنا أمورنا، وكانت الفكرة هي أن يبدأ الإخوة الداغستانيّون في تلك المنطقة، وبدأ الناس في بعض القرى بالمطالبة بالشريعة وطردوا الشرطة، ولم نكن نحن من فعلنا هذا. صحيح، أنّنا كنا نساعد ونوجّه ونُدرّب ونُرتّب، وكانت لنا يدّ في كثير من الأمور، ولكن بعد انتصار الشيشان بدأت الناس ترفع رأسها في كل القوقاز، فصارت الحكومة لا تعرف ماذا تعمل.

وكان أينما وجدت الشرطة، يوجد السكر والعربدة والرشوة، أمّا عندما مسك الإخوة الأمور وطردوا الشرطة وبدأت الشريعة بدأ النظام والترتيب. وألغوا ما يعرف بنظام (الكَلْخُوزْ)؛ هو مركز الزراعة في كل بلد، تجمع فيه الواردات الزراعية في كل منطقة، فكل المحصول يذهب للحكومة، بينما توفر الحكومة الديزل والبنزين والفحم والعلاج وغيره ويُعطوا الناس القليل، فالناس ثارت على هذا وعاش الناس عيشة طيبة. فبدأت أكثر القرى تنهج نفس النهج، وبدؤوا يطردون الشرطة، فخافت الحكومة وخاف الروس. وكانت هناك فكرة في أن يطرد الإخوة الشرطة من ولاية كاملة ويُعلنون الشريعة، فإذا طلبت الحكومة مددًا من الروس يطلب الإخوة مددًا من المجاهدين، ونحن سندخل قبل الروس ونمسك الإذاعة، فنجعل الروس هم من يهجمون، ونقوم نحن بالدفاع. هذه كانت هي الفكرة، وما كان عندنا النيّة في الدخول إلا لتقديم النصرة، ولكن بخطوات معيّنة وترتيب معيّن، هذه كانت الفكرة داخل داغستان، أن يقوم الناس بطرد الشرطة ثم إذا طلب منّا الناس نقوم نحن وندخل، وإذا أرادت الحكومة الداغستانية أو الشرطة حل الأمر داخليًا فلا بأس، ولكن إذا دخلت القوات الروسية فيجوز لنا أيضا أن ندخل، وهذا الذي حدث. نحن بدأنا نرتّب الأمور، ولكن تغيَّرت الأحوال واجتهد بعض الناس وقالوا: (لابد أن نبدأ)، وكنا نطلب من الناس ألا يستعجلوا المسألة، ونقول لهم: (يا إخوة لا تستعجلوا ونحن نريد أن نرتّب الأمور وعندنا برنامج).





بداية الحرب الثانية

المهم بدأت الأحداث ودخل الروس، ثم استنجد بنا المجاهدون وصاروا يطلبون المدد، ويقولون: (الحقونا وأسعفونا عندنا قتلى وجرحى)، فعندها لا يجوز لنا أن نقعد! ولو لم ندخل لقالوا: انظروا هؤلاء الناس كذا. وشرعًا، لا يجوز لنا أن نتأخر، وكان يجب علينا أن ندخل. فما كنا -والله- نتمنى أن ندخل ولكن -الحمد لله- دخل الروس، ثم دخلنا وحاصرناهم، فأصبحت كأنها حرب عالمية ثالثة، ما رأيت ولا أعتقد أنه سيمر بحياتي قتال ودَعْكٌ مثلما حدث في داغستان. كانت الطائرات تقصف بطنٍّ وطنين وثلاثة، وأحرقت الأرض، حتى أنَّ أحد الأودية الكبيرة أحرقه الروس حرقًا، وقُتل من الشباب ٣٠ على رأسهم أخونا حكيم -رحمة الله عليه-.

فبعد أن انكوى الروس جيدًا، ووقفت العمليات العسكرية هناك، جاءت إشارة أن نسحب فانسحبنا في ليلة واحدة وانتهى الأمر. ولكن بعدها بثلاثة أيام حاصر الروس مباشرةً قرية كَرَمَخِي وشَبَنْمَخِي، وثلاثة قرى فيها ألف طفل وأكثر من ٥٠٠ امرأة، وهم أناس ليس لهم أي دخل، والله لم يتدخلوا في أي عمل، وليس لهم أي شيء، لم يتدخلوا في السياسة ولم يتدخلوا ضد الحكومة. مباشرة حاصروهم من ثلاث جهات، وبدأ القصف والدَّعك عليهم بالمدفعية والطيران، وطالبوهم بالمفاوضات، فجاؤوا لهم وقالوا: (ماذا عندكم؟)، فقالوا لهم: (سلّموا كل الأسلحة والأمور التي عندكم وأزيلوا الحراسة)، فقالوا لهم: (نعطيكم الجواب غدًا بعد المشاورة)، وكان هذا الكلام في الظهر أو العصر، فذهب الناس فلم يأتِ الليل إلّا ورجع القصف والمدفعيّة عليهم. فانظر ماذا فعل الروس، ثم يأتي من يقول لنا: لماذا فعلتم كذا وكذا؟!، ولم يقل أحد: لماذا دخل الروس؟! ولماذا يفعل الروس؟!، ولكن لـمّا يفعل المسلمون شيئًا يقولون: أنتم مخطئون لماذا فعلتم كذا؟!



فعجبًا لهم! الناس طلبوا أن نساعدهم فلا نستطيع أن نتأخر عنهم، وكنا لتوّنا خرجنا من هناك، ولتوّنا نعالج جراحنا وندفن شهداءنا ونرتّب أمورنا. فمباشرة جمعت الإخوة وقلت لهم: (والله ندخل، ولا نبقى يومًا واحدًا هنا، والذي يريد أن يدخل معنا فليدخل والذي لا يريد يذهب مع السلامة).

فبدأنا نرتّب أنفسنا، وكنّا نحتاج على الأقل شهرًا حتى نعيد ترتيب الأمور، ففي أسرع وقت خلال ثلاثة أيام جمعنا الناس ورتبنا التجمّع من جديد وشكلنا المجموعات، فقالوا: (أمهلونا يومين فيوجد أناس ستدخل)، فاجتمعت بعض المجموعات ورتّبنا الأمور خلال أسبوع.

وحتى قبل المعركة الأولى طلبنا من الحكومة الروسيّة ومن الحكومة الداغستانيّة أن تتوقَّف العمليات العسكريّة وتحلّ الأمور بالحلّ السلمي، وسلكنا كل الطرق السلمية فلم نجد أيَّ حل.

وكان يوجد مجلس شورى بين الشعب الداغستاني والشعب الشيشاني، ألستم تقولون بالديمقراطية؛ هؤلاء عندهم مجلس شُكِّل بإرادة ورأي الناس، فالناس اختارت مجلسًا يشكّل بين الشعبين، وكان لنا في مجلس الشورى الجانب العسكري فقط. وكانت الناس فيه تجتمع وتناقش كثيرًا من الأمور وتخاطب الحكومة وتخاطب الروس. فخاطبوهم وأرسلوا لهم الرسائل الرسمية بأن يتوقَّف هذا الأمر، فلم يسمع لهم الروس، ولم تسمع الحكومة الداغستانية. فكيف يجوز للحكومة الداغستانية أن تطلب المدد من الحكومة الروسية ولا يطلب هؤلاءِ المدد من المجاهدين؟! فهذا عمى بصيرة!

فنحن طالبنا ودخلنا بعد أن دخل الروس بأسبوع كامل، فانتظرنا أسبوعًا، ونفس الشيء في أحداث كَرَمَخِي؛ صمدنا لمدة أسبوع، والحقيقة كنّا نحن نحتاج لأسبوع من أجل



أن نرتّب أوراقنا، فصبرنا وسلكنا كل الطرق السلمية فلم يقبلوا ولم يأتِ لنا ردّ واستمرّ العمل العسكري.

[...] وهم أصلًا خائفون من أن يتوسّع هذا العمل في كلّ القرى الداغستانيّة، وبدأت الأحداث تحصل وتنتشر في كلّ مكان، فدخلنا وطحنّا الروس وانطحنّا وانقلبت الدنيا من فوق إلى تحت. والحمد لله، منّ الله علينا بحصار قوافلهم وضربها، ومات الروس فيها، وبعدما أوشكت الحرب أن تنتهي في كَرَمَخِي، خرجنا أيضًا.

ثم بدأ عمليات القصف داخل أرض الشيشان، وقال الروس: (لماذا دخلتم عندنا؟)، وكأنهم لم يفعلوا أي شيء قبل هذا! والله يا إخوة قبل أن نطلق طلقة في داغستان كانت القوات الروس قد دخلوا كيلومتر كاملًا داخل الشيشان، في ولاية شِلْكَوْسْكُويْ، وكانت الحشود على ولاية نَوُرْ، والذي يريد تفصيل القضية فسنبيّن له ويمكن أن يسأل أهل الأرض أنفسهم. وحتى أن الناس كانوا يطالبون الجيش الشيشاني ومسخادوف أن يحرّر هذا الكيلومتر، والروس أخذوا وضربوا من الجمارك وضربوا البوسطات. وأصبح الأمر واضحًا، بأنّ الروس يريدون أن يعملوا شيئًا، فعاجلناهم قبل أن يبدؤوا بنا، فنحن بدأنا بهم قبل أن يبدؤوا بنا. وحقيقةً، هذا هو الشيء الذي منّ الله به على المسلمين منذ ٢٠٠ سنة أو ٣٠٠ سنة؛ أن هذه أول مرة يبدأ المسلمون بعمل جهادي ويُطالبون بنزال أعداء الله قبل أن يطالبوهم هم. نحن معتادون -كما في كل قضية- أن يدخلوا هم ويذبحوا ويهتكوا، وبعد ذلك نستصرخ الناس ونأتي بالمؤسسة الفلانية والعمل الإغاثي والعمل الطبي، فدعونا مرة واحدة نبدأ ونعمل شيئًا! وهذا الذي خلط حسابات الروس واستعجلهم، وإلا والله أنهم كانوا يُعدّون العُدّة لمقتلة عظيمة في الشيشان، ليُنهوا فيها تواجد المسلمين على هذه الأرض.



بدء الجهاد في الداخل

فبدأت العمليات العسكرية داخل الشيشان، وفعلًا كما قال عناصر الاستخبارات: جاء الروس من الجبال، وبدأ الحصار وبدأت العمليات العسكرية داخل الشيشان.

فبدأنا نرتّب الأمور، ونمسك الجبهات من أول الشمال في شِلْكَوْسْكُويْ ثم بعد ذلك السلسلة الجبلية (التيرك) في شمال غروزني. وبعدها وصلنا إلى منطقة أُرُوسْ مَرْتَانْ؛ وكان هناك أخونا رمضان سكاييف ورمضان أحمادوف وأخونا يعقوب؛ ثلاثة من أكبر المجموعات عندنا تمركزوا هناك. ومن جهة الغرب كان أخونا أبو الوليد في جهة أَرْغُونْ مع مجموعات أخرى. وفي داخل غروزني كان أخونا أبو ذر وأخونا بَغْرَامْ إِسْمَاعِيل –رحمة الله عليه– وباقي المجموعات، وأخونا أبو جعفر كان مع أخينا في سِرْجِنْيُورْتْ. وبعد أن بدأ حصار العاصمة، مباشرةً شكّلنا أهم جبهتين للحفاظ على مداخل الجبال بقيادة أخينا يعقوب ورمضان وزَلْمَايْ وأمير حرسنا أخونا جارديز. وفي سِرْجِنْيُورْتْ كان أخونا بيك خان وأخونا أبو جعفر ومجموعات أخرى معه، وأخونا عبد الصمد في سِرْجِنْيُورْتْ. وداخل غروزني، كان هناك أكثر من ٤٠٠ مجاهد مع أخينا أبي ذر، وأيضا ٤٠٠ مجاهد كانوا في جهة دُبَايُورْتْ مع أخينا زَلْمَايْ ويعقوب ورمضان وأبي الوليد، وأيضًا كان هناك حوالي ٢٠٠ مجاهد مع أخينا أبي جعفر وعبد الصمد في داخل سِرْجِنْيُورْتْ.

وبدأت العمليات، وبدأ الدفاع عن المناطق وترتيب الأمور، إلى أن انتهى حصار العاصمة وخرج المجاهدون من العاصمة والتجؤوا إلى الجبال. وكانت هناك مشاكل كثيرة داخل شَاتُويْ، وهي منطقة من أهم المناطق الاستراتيجية للقتال داخل الشيشان؛ فهي منطقة جبلية بمجرد السيطرة على المرتفعات ينتهي كل شيء. ولكن كانت هناك ثلوج وبرد، وكان المجاهدون مرضى وكان من الصعب جدًا تشكيل الناس وترتيب الأمور.

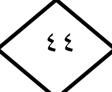


فأقمنا اجتماعًا مع أخينا غِلَايِيفْ وشامل وعربي ورمضان والمجموعات الأخرى نقول لهم: (يا إخواننا، ويا رمضان، ويا جماعة؛ أسرعوا أمسكوا الجبال قبل أن ينزل الروس فيها)، فقالوا: (نحتاج إلى أسبوع لنرتاح).

فبدأت الإنزالات، ونزلت أول مجموعة كوماندوز من الروس في أول سلسلة، وبدؤوا يأخذونها بالتدريج، ثم أصبح التواجد في تلك المنطقة صعب جدًا بعد أن أخذ الروس المرتفعات. هذا الذي كان في أحداث شاتوي، وبعدها قرّرنا الخروج من هناك قبل أن يأتي الروس ويحاصروا كلّ الطرق.

تباين الآراء حول تدفق العرب

وهنا تأتي قضية مشاركة الإخوة الأنصار، ولعلّي فصّلت هذا في الإجابة على أسئلة الإخوة من هناك. فأنا ذكرت للأخوة الأنصار عندما كان طريق جورجيا مفتوحًا، ألَّا يستعجل أحد في الدخول إلى الشيشان؛ لأن فصل الشتاء قادم، والإخوة يستخدمون سياسة الحصار للمدن والقرى ولكل الجمهورية، فقلنا: لا أحد يستعجل، فالوضع هنا صعب والشتاء قادم ولا يوجد مأوى ولا مستشفى ولا يوجد شيء من الأمور التي يحتاجها المجاهدون. لكن كان هناك استنفار من الشيخ -جزاه الله خيرًا- لبعض الناس، وبدأ بعض القادة يقولون: (نعم دع الناس تأتي ونحن نرتّب ونجهّز). فجاء هؤلاء الإخوة -جزاهم الله خيرًا-، للأسف ٧٠٪ منهم غير مُتدرّب وهذه هي التجربة الأولى له. فاجتمعنا مرّة ثانيّة وأرسلنا للشيخ: (يا شيخ أوقف الاستنفار، والله سنتعب مع هؤلاء الإخوة كثيرًا وسيتعبون كثيرًا، فلا تُوجد معسكرات فكلها تحت القصف، وهم غير متدرّبين). فبعدما دخل الروس على المناطق السهلية، أُوقف هذا الاستنفار، ورجع كثير من الإخوة الجدد ودخل للعمليات ما يقارب مائة أخ.





وأنا كنت أنظر للطريق الجنوبي؛ فإذا كان مفتوحًا وتحت سيطرة المجاهدين، فلا بأس من دخول الإخوة وتمركزهم في الجبال، وعمل مراكز فيها، فهذا أمر جيّد وتكون خلفية للدخول. رغم أن جورجيا أبدًا لا تكون ظهرًا آمنًا، وتاريخها أسود مع المجاهدين في القوقاز، وهم نصارى فلا أحد ينتظر منهم شيئًا، والكفر ملة واحدة، وهم أخبث من غيرهم على المجاهدين. فدخل الروس من طريق الجنوب من جورجيا وسيطروا على ذلك الطريق؛ ففهمنا بالضبط مغزى الروس من ذلك.

فالطريق أُغلق بنفسه، وإلّا كان الإخوة لا يريدون أن يسمعوا منّا، وطبعًا كان هناك إخوة بوجهات معيّنة، بدؤوا يفسّرون الأمر بتفسير بعيد عن أرض الواقع -نسأل الله العافية-، أصبحوا يقولون: (هؤلاء الإخوة لا يريدون الخير لأحد، وهؤلاء الإخوة محتكرون للعمل)، كلام حقيقة يُحاسبون عليه أمام الله -سبحانه وتعالى-. ولعلّ الإخوة الذين خرجوا من هنا، يبيّنون لهم ماذا حدث للإخوة الأنصار داخل أرض الشيشان في فصل الشتاء، وإلا من الذي لا يريد لجنود الإسلام ولأبناء الإسلام أن يتعلّموا ويخوضوا تجارب في قضايا المسلمين وأن يُعدّوا؟! واليوم مرض الأمة الإسلامية هو في هذا المجال؛ فلا يوجد مجال يتعلّم فيه أبناء الإسلام القتال والإعداد، إلا أن يشاركوا في هذه القضايا، ولكن كان هناك عجز في علاجهم ولبسهم وفي إيوائهم فلا نستطيع إدخالهم.

والذي دخل من الإخوة مرّت عليه تجربة شَاتُويْ؛ وأتمنى من كل أخ يقرأ أو يسمع هذه المقابلة أن يلتقي مع الإخوة الذين كانوا في الشيشان من الذين جاؤوا مؤخرًا ولا يعرفون اللغة ولا الأرض وكانوا غير مدرَّبين، فسيذكرون لكم تجربة أو مأساة ما مرّ على الإخوة مثلها قط في أيّ قضية!



أحداث شَاتُويْ

بـدأت المسـيرة بعـد أن دخـل الـروس وسـيطروا على المنـاطق الجبليـة؛ فـاجتمعت مـع الإخـوة، وقلت لهم: (والله إذا لم نخرج من هنــا، فسـيُحكم الـروس الحصــار، وسيسـوء الوضع). وبدأ أعداء الله يُمنُّون العالم ويقولون: (بعد أسبوع سننْهي القضية ونُبيّن جثث المرتزقة)، وسموا القائد فلان وفلان من الناس، ورسموا كاريكاتير لبوتين -رئيس وزراء روسيا في ذلك الوقت- وهو يمسك رأس خطاب ورأس شامل، يعني: رأى أعداء الله أن الأمور انتهت تمامًا وأن الأمر أصبح قاب قوسين أو أدنى. فبعد أن وافق الناس كلّهم، خرجتُ في الترصّد فوجدتُ -والله- طريقًا لا تستطيع السيارة العسكرية أن تمشي فيها، توجد حفر كثيرة جدًا في كل مكان من القصف والقذائف، فبصعوبة خرجت في أحد الليالي وقلت للناس: (تجهزوا وعندما أخبركم نتحرّك).

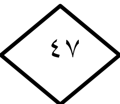
فخرجت للترصّد، وكان يُفترض أن نصعد جبلًا عاليًا جدًا ثم ننزل في وادٍ سحيق، فكـانت مرتفعـات عاليـة جـدًا، وكـان من الصـعب جـدًا على المجاهـدين التحـرك فيهـا. فالحمـد لله وجدنا مكانًا طيبًا، فأعطيت الضوء الأخضر للجميع بأن يتحركوا. بـدأت النـاس بالتحرّك، وكنت أظن أن القافلـة سـتكون من ٥٠٠ أو ٦٠٠ أو ٧٠٠ شـخص ولكنّي تفاجأت أن القافلة فيها ١٢٥٠ مجاهدًا! كلّ المجموعات تشكّلت معًا، وكان من الصعب جدًا تشكيل وترتيب وتنظيم المجموعات، وأصبحنا لا نعرف هذا مع من؟ وهذا أين أميره؟ حتى أننا وضعنا التموين هكذا في الشارع وقلنا للناس: (خذوا تموينًا لدينا مسيرة طويلة)، فالذي أخذ أخذ، والذي استهان بالأمر لم يأخذ، والذي لم يأخذ تعب جدًا.



بدأت المسيرة، وكنت أتابع خروج المجموعات، فوجدتهم أمّة مثل خلية النحل؛ يعني، الجبل يهتز من حركتهم، وكلام وصياح وكذا. فبدأت أُرتب المجموعات، وأجعل كل مجموعة في مكان، وكل أمير مع مجموعته، وبدأت أقول للناس: (لا تُشعلوا النار! فالروس في كل مكان، ولو علموا بمكاننا فسيطحنون المكان طحنًا)، فكان بعضهم يسمع الأمر، والبعض الآخر لا يسمع للأمر. وكانت هناك مشاكل، والجو كان باردًا جدًا، ففي الليل لا تنام وفي النهار كذلك لا تنام؛ في النهار تمشي والليل لا تنام. فصارت الناس تمشي مثل السكارى، وكان جوع وبرد ورطوبة. وأنا لأول مرّة في حياتي، أرى الأرجل تصبح بيضاء من الأسفل بسبب البرد؛ اللحم لا يوجد فيه دم، وهو يلبس الشراب عدة أيام فيصبح رطبًا. فاشتدت البرودة، وبدأ الشباب يشعلون النار، فكانت الثياب تحترق، لأنّهم من شدة البرد كانوا ينامون بالقرب من النار، فتحترق الثياب وهم نيام، ولو ذكر لكم الإخوة ما حدث لهم فيمكن ألّا تصدقوا ذلك!

بدأ الإخوة يمرضون، وبدأ الإسهال والجوع، وشحبت الوجوه والجلود، وتشقّقت شفاههم؛ يعني، أصبح الوضع صعبًا جدًا. وبدأنا نبحث عن طريق للخروج، وبدأ الروس الخبثاء يتمركزون في كل قمة، وجاؤوا بقوات من أفضل القوات الخاصة عندهم. وأعلنوا بأنهم أعدُّوا قوات خاصة جدًا للقضاء على الإرهابيين المجرمين؛ يعني، هم أعدوا العدة لهذا الأمر فعلًا. وكانت عندهم قوات متكاملة من اللباس والخيام ومدفأة صغيرة لكل واحد، فكأنهم كانوا في فندق ٥ نجوم؛ أمّا نحن فالله المستعان، كنّا في وضع مُزرٍ من غابة لغابة.

ثمّ جمعت الناس في وادٍ وقلت لهم: (أشعلوا النار)، وكان بقرب ذلك الوادي قرية مكسرة ومدمرة تركها أهلها وفروا. فدخلنا ونهبنا القرية نهبًا، أخذنا الأكل والدجاج





والبقر، ولم نترك شيئًا إلّا وأكلناه. وكانت القرية مدمّر ومكسّرة كلها، وكان الروس كل يوم يقصفون ويحرقون فيها، وكان الروس يتسلَّلون ليلًا وينهبون من القرية، فدخلنا نحن وأخذنا وقلنا: (إن شاء الله نعوضهم عنها فيما بعد). فأخذنا منها ما يكفينا، فكان الذي استطاع أن يتدبَّر أمره تدبَّر، والذي لم يستطِع فقد تعب.

وكانت إدارة الناس صعبة جدًا، القادة كانوا أكثر من عشرين قائدًا؛ يعني: هم بحد ذاتهم كانوا جيشًا. كنت أجمعهم بالمخابرة: يا يعقوب، يا أخانا أبا الوليد، يا أخانا عبد الصمد، يا فلان. فكنا نحاول ترتيب الأمور بقدر المستطاع، فقط كنا نريد معرفة من يضيع ومن يُقتل ومن يُجرح، وكان هذا أهم شيء لنا. فكنّا نسير لـ ١٨ يومًا، وكنّا في حال لا يعلم بها إلا الله تعالى. فبدأنا نترصَّد ونبحث عن طريق، وكنت قد أرسلت مجموعة مع أخينا أبي عمر، ولكنها ضاعت ولم يأتِ عنها أي خبر، ثم خرجنا في مجوعة ثانية مع أبي الوليد، فأوّل ما صعدنا تقابلنا مع الروس، فجُرح أخونا أبو الوليد وقُتل واحد، فانسحبنا وبقي الروس في القمة. ثم صعدت تبة كي أحقق اتصالًا بالمخابرة، كنت أنا وأبو الوليد وأحد الإخوة معنا، فلما صعدنا لمحنا نارًا صغيرة خلف الشجر، فقلنا: ربما المجاهدون، ولم أعتقد أنّهم روس، فالروس في العادة إذا اتّخذوا موقعًا، يطلقون قنابل ضوئية وتكون لهم إضاءة ليلية. فقلت لأخينا أبي الوليد وكان هذا قبل أن يُجرح: (هل ممكن أن يكونوا من المجاهدين؟). فقال أبو الوليد: (هذه نار). فهل هي نار أو ليست نار، قلت له: (اذهب وانظر الوضع)، فقال: (دع أخًا شيشانيًا يذهب معي لكي يتكلم معهم، أخشى أن يكونوا مجاهدين شيشان فلو تكلمنا معهم بالروسية يمكن يطلقون النار). مع العلم أن الإخوة يتكلمون الروسية، لأن الشيشانية صعبة وهي لغة شعب واحد؛ لكن بالروسية تتكلم مع كل شعوب القوقاز. فجئنا بأخ شيشاني كان



أحد الحرس عندي، وبدأ ينادي عليهم، فرأينا النار صارت أكبر، وخرجوا من الخيمة وبدأ إطلاق النار، فأُصيب أخونا الشيشاني، فبدأ يرمي عليهم وهرب.

وفي ذلك الوقت، كنت أنا أنادي في الجهاز اللاسلكي حوالي نصف ساعة، وكنت بجانبه لا أبعد عنه إلا عشرين أو ثلاثين متر، فمباشرةً بدأت بالرماية عليهم أنا وأحد الحرس. وتراجع أخونا أبو الوليد من جهة أخرى، وانسحبنا من الموقع بسرعة، فبدأت بعد هذا الرماية وبدأ الإسناد بالرماية الثقيلة على المنطقة، فانسحبنا من المنطقة.

وكان الروس الخبثاء، يريدون أن لا تنسحب قوافل المجاهدين حتى يُوقِعوها في كمين مُحكم، ونحن لم نكن متعوّدين على مثل هذا الأمر: أن يصل الروس لهذا القدر من الشجاعة، بأن يتمركزوا في كل مكان. فرجعنا بعد ذلك، وذكرت لأخينا شامل: أنّ الوضع صعب وأنه لا بد من حل للمشكلة، فأصرَّ أخونا شامل على أن نخرج من جهة القرى، وكان الروس في كل مكان، وكان هناك مضيق بين جبلين، يعني: منطقة مسطّحة. فأخبرت شامل بأن الوضع صعبٌ، وعددنا كبير -أكثر من ١٢٠٠ مجاهد-، والروس متجمّعون في تلك القرى وهم كثير هناك. فقال: (لا، أنا أعرف المنطقة). فقلت له: (لا بأس نرسل رصدًا للطرق). فأرسلت مجموعة فيها أخونا حسين -أحد الإخوة الشيشانيّين- وكذلك أخونا أبو ذر من الجزيرة -وهو كان من الطائف من خيرة الإخوة جزاه الله خيرًا-، ومعه أخ شيشاني اسمه إسلام. فلما ذهبوا صعدت وجلست على الجبل، وصنعت مأوى من الخشب وأشعلت النار. وأثناء ذلك ناداني الأخ أبو ذر باللاسلكي وكان يناديني باسم: (تاج) فأجبته، فقال لي: (تجاوزنا المنطقة، لكن على اليمين يوجد روس يبعدون ١ كم فما رأيك؟). فقلت له: (ما دام أنّ الطريق ليس فيه



روس نتقدّم). فذهب وتجاوز المنطقة وكانت الأمور جيدة، وتواصل مع الناس في الطرف الثاني لكي يستقبلونا.

في اليوم الثاني، قلنا للناس: بسم الله، وأعطينا الضوء الأخضر لكلّ المجموعات بأن يتحركوا. واتصلت مع شامل ويعقوب، وكان يعقوب هو الذي يقود القافلة مع الأخ غِرَاتْ وأخونا أزمراي، وكان أخونا مُتعبًا ومجروحًا فأمسك بدلًا عنه أخونا عبد الصمد. فبدأنا نتحرك، ولو تأخرنا فقط ساعتين لجاء الروس وأخذونا أسرى؛ لأن الروس في هذا الوقت، كانوا يتبعون أثر المجموعة، وكانت الفكرة لدى الروس أن يتمركزوا في القمم والتلال لمدة يومين أو ثلاثة وحتى أسبوع، لكي يفتّشوا المنطقة: هل فيها معسكرات أو خنادق؟ وهكذا، ثم يرحلون إلى مناطق أخرى، وهكذا يفتّشون كل المناطق.

ففي الصباح، بعد أن رتّبنا أمورنا، بدأت ومن معي بالمشي حوالي الساعة ٨ أو ٩ صباحًا حتى نتأكّد من الطريق. فبعد أن ذهب الإخوة في المرّة الأولى، ذهبت أنا مرّة أخرى حتّى أتأكد من الطريق، وكان يعقوب والشباب كلّهم يتحركون وراءنا. وبينما أنا أمشي، رأيت مجموعة لابسة أبيض مُموّهًا قادمون باتجاهي، فناديت الشباب الذين أمامي وكانوا اثنين أمامي؛ فعندما رأونا هم هربوا، ونحن هربنا. وبعد قليل بدؤوا في الرماية، وأنا قلت: ربما هم من المجاهدين الشيشان؛ بالأمس التقينا بهم واليوم التقيناهم! فبدأت الرماية بيننا وبينهم، وأصيب أحد الإخوة معي، أصيب بطلقة بيكا جاءت باتجاه القلب مباشرةً، اخترقت مخزن الذخيرة الذي في الجعبة ووقفت في الجلد، فسقط على ظهره فقلت في نفسي: (حسبنا الله، من يستطيع أن يسحبه الآن وكيف نسحبه وإلى أين؟). ثم بدأنا نضرب عليهم بالقنابل، واستمرت الرماية بيننا وبينهم، وكانت المجموعة التي معي تتكون من ستة أشخاص، أنا ومعي إخوة الحرس، فلمّا أصيب الأخ خفت، خاصّة أنّي



رأيت مجموعات الروس لم تنسحب، بل بدأت تنتشر يمينًا ويسارًا، يريدون أن يحاصرونا، ففهمت أنّ عددهم كبير، فأعطيت الأوامر للإخوة للانسحاب بسرعة. واتّخذنا مكانًا جيدًا في جبهة مرتفعة، أرى منه الطريق كلها، فبقينا هناك وأقمنا لهم كمينًا.

وأنا توقعت أن ينسحبوا، لأن المجاهدين قادمون فكيف سيتقدَّمون، ولكن وجدنا الخبثاء متقدّمين بكل هدوء وبكل ثقة، وظلُّوا يمشون حتى وصلوا عندنا. في هذا الوقت، وصل أخونا يعقوب وكانت القافلة من ١٢٠٠ مجاهد، قد وصلت للتو، فقلنا لهم: لا أحد يتحرك حتى يصبحوا أمامنا. وكنا نريد من الروس أن يتقدموا ليصلوا عندنا، فلا ينتبهوا إلّا ونحن فوقهم، فنقوم بعمل مجزرة فيهم. ولكن أحد الإخوة -هداه الله- استعجل فضرب عليهم، وسقط منهم واحد، فمباشرة أكملنا على ثلاثة منهم، فانسحبوا وطلبوا المدد بالإسناد، فجاءهم الإسناد بالسلاح الثقيل مباشرةً. وسقطت أوّل قذيفتين على رؤوسهم، وصار فيهم قتلى وجرحى، وبدأنا نحن الرماية عليهم، وهم أوقفوا الرماية بعد هذا وطلبوا الإسناد وانسحبوا. فقلت لأخينا يعقوب: (بسرعة أرسل المجموعات من جهة اليسار. فخلاص، القافلة الآن تحرّكت ومن غير الممكن أن نُرجعها، وعلم الروس بمواقعنا، فلا بدّ أنّ نكمل هذا الطريق). فأرسلت المجموعة لليسار، وبدأت المجموعات تُحاصرهم، واكتشفنا أنهم كانوا فصيلًا مكونًا من ٣٠ أو ٣٥ فردًا، وكان عندهم فصيل في الخلف. فذهب الإخوة واشتبكوا مع الفصيل الخلفي، وصارت الرماية تأتي على الفصيل الأمامي من الخلف، فاختلطت أوراقهم ولم يدروا ماذا يفعلون. وأنا ذهبت من جهة اليمين، لأحاول أن أموّه عليهم أنَّ الرماية تأتي عليهم من جهة اليمين واليسار. وفعلًا، صار الإخوة يضربون عليهم من جهة اليسار، وأنا أضرب عليهم من جهة اليمين، وأخونا يعقوب وأخونا أبو ذر -جزاهم الله خيرًا- يضربون عليهم؛ فبدأت



الرماية عليهم من اليمين ومن اليسار، فرأى الروس الجبل كله صار نارًا يضرب عليهم من كل جهة.

وفي الحقيقة، من جهتي ما كنت أرى شيئًا فأنا كنت في الأسفل، وفقط كنت أرمي حتى نُشتّت انتباههم ونخدعهم. وفعلًا، هم ظنوا أننا بدأنا نلتف عليهم ففروا، وتقدَّم عليهم أخونا يعقوب فوجدنا طعامهم وذخائرهم، والحمد لله كانت ذخيرتي قد نفدت، وكان أحد الخبثاء من قواتهم قد لغّم الشنطة فوضع فيها قنبلة أو لغمًا. قلت ليعقوب: (تقدم عليهم). فقال لي: (الحمد لله، لقد أخذنا غنائم، وأخذنا أسلحة، وذخائر، وخيام، وأكياس النوم، وبطاطس). وكنّا في أمس الحاجة لها. والإخوة هناك قالوا: (نحن الآن نراهم). فصعدت ورتَّبت الشباب، وبدأت أتقدم على الطريق، والروس كان جزء منهم قد صعد وبقي الآخرون في الأسفل، فنزلوا عند أخينا يعقوب. وكان أخونا يعقوب أقام لهم كَمِينًا من أربعة أو خمسة أخوة، فطحنوهم من هنا، وبدأ الشباب يطحنوهم من هناك؛ فقضوا عليهم. وكان الروس قد صعدوا لتوّهم للموقع، ولم يتمكَّنوا من أن يحفروا خنادق أو أن يفعلوا أي شيء.

وبدأت الرمايات، وبدأت المدفعية الثقيلة تضرب صواريخ وجراد؛ فأحرقوا الدنيا حرقًا؛ وبدؤوا يرمون جهة اليسار من حيث بدأ عليهم الحصار، والتفّ عليهم الإخوة. والحمد لله، الإخوة كانوا قد انسحبوا ولم يبقَ منهم أحد في تلك المنطقة؛ وكنت قد طلبت منهم أن يذهبوا من جهة اليمين، فنزلوا والحمد لله لم يُصَب منهم أحد. الإخوة كانوا على الشارع، فطلبت منهم أن يذهبوا من جهة اليمين، فذهبوا والحمد الله، كان أغلب الإخوة سالمين. وكانت الرماية قوية جدًا، وصرنا نسمع أن فلانًا استُشهد، وبدأ القصف



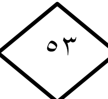


ينزل على الروس وعلى المجاهدين، وأصبح الروس لا يفرّقون بين أحد؛ يعني: قصف ليس له مثيل.

وأنا حقيقة، كنت أريد أن أتقدَّم في تلك المنطقة؛ وكانوا بين الفينة والأخرى يحضرون لي جريحًا، فنحاول أن نعمل له الإسعاف، ثم يأتون بشهيد فنحاول دفنه، ولم يكن عندنا أدوات حفر وكنا فقط نحفر بالسكاكين حفرة نصف متر، ونضع الأخ ونحاول أن ندفنه. وكان الإخوة مرضى ومتعبين جدًا، بجهد جهيد يستطيع الواحد منهم أن يحمل أمتعته، وجاءنا أكثر من ٣٠ جريحًا و ٣٠ شهيدًا. وكان أخونا أبو الوليد مجروحًا، وجُرح الأخ يعقوب، وجُرح أخونا أبو ذر، وطلبنا المدد من أخينا عبد الصمد -نسأل الله أن يتقبله-؛ فتقدَّم بمجموعته فقُتل -رحمه الله-، وقُتل نائبه أخونا شَهْرُ الدِّين، وكذلك قُتل القائد إلياس أيضًا، وكذلك القائد شالي أَبْتِي، كل هؤلاء قادة مجموعات.

وأما الجرحى من قادة المجموعات؛ فقد جرح أبو الوليد أزمراي، ويعقوب وأخونا أبو ذر، فلم تبقَ مجموعة واحدة أستطيع أن أرسلها، فالأمراء بين قتيل وجريح، فطلبت مجموعة رُوَادِي، مجموعة أخو رمضان وأرسلناها إلى هناك في الليل.

وشامل كان مُصرًّا أن نتقدّم، فكرّرت له أننا لا نستطيع أن نتقدّم في هذا الوقت، لأن الروس متواجدون في الأمام، فرفض وأصرّ على التقدّم. في الحقيقة، غضبت من ذلك وقلت له: (أدِر الأمور كما تحب)، وتركت جهاز المخابرة. وتقدّمت في تلك المنطقة، إلى أن وصلنا عند الإخوة في الأمام، فقالوا: (أين تذهبون الروس أمامنا وليس بيننا وبينهم إلّا ١٥ متر؟!). فقلت لشامل (أرأيت الأمر؟). فقال لي: (النهار قد طلع علينا الآن والطيران سيأتي)، وفعلًا كان الطيران يدور بشكل مكثَّف، فنزلنا في الوادي -وكان وادٍ سحيق لا يعلمه إلا الله-، فتعجبت من الشباب كيف نزلوا فيه ثم صعدوا مرة



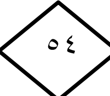


ثانية، فأصبح الناس منهكين؛ لا نوم في الليل من شدة البرد ولا في النهار، وكان أقصى ما يستطيع أحدهم أن ينام نصف ساعة فقط ثم يستيقظ من البرد وإلّا يتوقف الدم من شدة البرد.

وشاء الله في هذا الصباح الباكر، أن يلتحم الإخوة مع أعداء الله على مسافة ١٥ متر، ثم عندما ارتفع عليهم الإخوة دسّ أغلب الجنود الروس رؤوسهم داخل جواكيتهم، فقتلهم الشباب شرّ قتلة، أكثر من ٥٠ قتيلًا من الروس في مكان واحد، والإخوة قتلوا قبل هذا في اليمين واليسار أكثر من ٣٥ قتيلًا؛ يعني، فصيلان كاملان من قوات الكوماندوز أو ما يسمى بقوات (الديسانت)، والتي كانت الحكومة الروسية تُمنّي العالم بالمفاجآت وبمقتل قيادة المجاهدين على يدها.

فتقدَّمنا بعد ذلك، وأحد الأسرى هرب وأخبر بمواقع المجاهدين، وكان الروس يظنون أنّنا ٢٠٠ أو ٣٠٠ فرد، وكنا نسمعهم على أجهزة التنصت وهم يقولون: (عددهم فقط ٢٠٠ إلى ٣٠٠ فرد)، ثم أصبحوا يقولون: (جاءتنا أخبار الآن أن عددهم ١٠٥٠ من أحد جنودنا)، وكان ذلك الجندي هو الأسير الهارب منا. والسبب في هروب الأسير، أنه في ذلك الوقت لم يكن أحد يستطيع أن يحرس أحدًا، وكان الاحتفاظ بالأسرى خطأ كبيرًا، وكان الواجب نحرهم كلهم، بعد ذلك أصبح الرجوع إلى مواقعنا الخلفيّة شبه مستحيل.

وبعد هذا، بدأ القصف والرماية الشديدة، والحمد لله كنّا خرجنا من الوادي، وكان واديًا صغيرًا عميقًا، وكان الشباب مرتاحون فيه؛ فيوجد به ماء وأشعلنا فيه النار، فتقدَّمنا على القرى وكانت آثارنا واضحة على الثلج، وكانت الأعداد كبيرة وعشوائية. والله يا إخوة، لأوّل مرّة أرى جرحى من المجاهدين لا يحملهم أحد، وقتلى شهداء لا أحد





يدفنهم. والمشكلة كانت أنّ بعض الناس يظنون أن هذا الجريح أو القتيل لديه مجموعة تتكفَّل به، ولم يدروا أنَّ الناس كانت تمشي فرادى بلا مجموعات، وهناك كانت المشكلة. فالذي سقط سقط، وكان هناك ثلاثة أو أربعة قتلى، وجريح واحد مررت بهم فلم أستطع أن أدعهم. فطلبت من الإخوة أن يحفروا حفرة لهؤلاء الشهداء، وترجّيتهم رجاء، فلم يعد هناك مجال للأمر ولا أن نفرض على أحد شيئًا، فالناس كانت منهكة جدًا، فجزاهم الله خيرًا سمعوا لي وحفروا. وكذلك جهزوا حفرة للجريح، لأنه كان مصابًا في رأسه وكان يحتضر، والله لقد عمّت رائحة المسك المنطقة، وكانت الناس رغم شدة القصف تأتي إلى هذا الشخص وتشم الرائحة وتُكبّر، وكنت أقول لهم: (امشوا الآن)، ثم استشهد رحمة الله عليه.

ثمّ نزلنا كلّنا في الوادي، وجاءت الطائرات العمودية فرأونا وكشفوا مواقعنا، فصارت كل أربعة تأتي طائرات فتدك الأرض وتحرقها حرقًا، ولم يكن لدينا شيء لنرد عليها، وكانت تنخفض كثيرًا ثم تقصف. فبدأ القصف وبدأت صواريخ الغراد وصواريخ الموشاك والأورجان تأتي من كلّ مكان، وكنت أقول: الآن القتلى سيكونون بالمئات، وكان التفكير عندنا أنّه لو قتل نصف المجاهدين وينجوا النصف (أي: يقتل ٦٠٠ وينجوا ٦٠٠)، فإن هذه النسبة مقبولة لدينا، من شدّة الحصار ومن شدّة البلاء الذي حلّ بنا! فبدأ القصف يشتد على المجاهدين، وبدأت أحاول أن أُبيّن هذا الأمر لشامل، ولم تكن هناك إمكانية للاجتماع، وكان أكثر القيادات جرحى ومتعبين، فلم يكن هناك إمكانية للشورى أو النظر في الأمر، وأصبحت الأمور تسير بشكل شبه عشوائي، وكنّا نتحكم فقط في بداية الحركة والوقوف، أمّا من يتحرّك ومن يكون ومن لا يكون فهذه أمور ليست بيدنا، فقد صارت الأمور عشوائية.



أذكر أنه بعد المغرب، بعدما بدأت كل المجموعات تتحرَّك باتجاه القرى، إلى قرية سِلْمِ تَاوْزِينْ وقرية دُتْسْ خُوتِي؛ بدأ الروس يعدُّون ويحشدون قوات كثيرة جدًا وبدؤوا يلغّمون الطريق، وكان بعد هذه القرى يجب أن نعبر نهرًا، وحافّة النهر جُروف قويّة وليس هناك إلّا منفذ أو منفذان أو ثلاثة. فالروس لغَّمُوا كل الطرق، ونشروا آلياتهم العسكرية، فكانوا مستعدّين لنا. حاولت أن أتصل بالإخوة فقالوا: (والله العظيم يا تاج، أنّ الروس ينتظرونكم، فلا تأتوا من هذا المكان). في حين أنّ شامل كان مُصرًّا على مواصلة المسير إلى هذه المناطق. والحقيقة أرجع وأقول: لم يكن هناك إمكانيّة لمسألة المشورة والترتيب، وبدأت الأمور تسير بشكل عشوائي، وبدأت الأمور تزداد صعوبة. وبدأ قصف عنيف على طريق [...]، وكان الطريق موجودًا على الخريطة، فقُتل وجُرح الكثير من المجاهدين، فوضعنا أكثر من ١٠٠ جريح في هذه القرى، وتعذَّر الناس عن استقبالهم وازدادت المشاكل فوق المشاكل الموجودة.

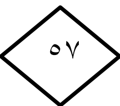
أذكر قبل المغرب، مررت على أحد الإخوة الشهداء، كان مُلقى على الأرض، ولم يكن قد دفنه أي أحد، وكنت في آخر الناس، وأنا لم أكن مُقتنعًا بمواصلة الطريق ولكنَّ أخانا شامل كانت له نظرة معينة أو يعرف المنطقة وكذا، فأوقفت الحرس الذين معي وقلت لهم: (احفروا للشهيد)، فدفنَّاه في حفرة قذيفة، وسّعناها قليلًا ثم دفنّاه فيها؛ كانت مأساة ومناظر صعبة جدًا على النفوس، لم أرَ في حياتي مثلها. ثمّ جاء بعض الناس من القرية لشامل، وقالوا له: (والله إنّ الروس قد أعدُّوا لكم العدّة، وهم ينتظرونكم، فلا تتقدَّموا في تلك المنطقة). فاقتنع مؤخرًا، وأنا كنت قد تركت جهاز اللاسلكي، وقلت له: (لا يمشي جسد برأسين)، وتركت الأمور له، وهو كان يعرف المنطقة وأنا لا أعرفها جيدًا، فكانت لهم تجربة في الحرب الأولى في تلك المنطقة. ولكن في نهاية الأمر اقتنع اقتناعًا قويًا وطلبني للاجتماع وقال: (ماذا نعمل؟). فقلت له: (أنا



ذكرت لك رأيي من قبل، والآن ترى الوضع؛ جرحى وقتلى فماذا نفعل الآن؟). ثم قلت له: (لا يوجد حل سوى أن نرجع إلى المنطقة التي جئنا منها). والمنطقة التي جئنا منها، كان الروس قد جاؤوا وأخذوا جثث قتلاهم، وكانوا ٧٥ قتيلًا؛ فكنا نتوقع أن الروس موجودون في هذا المكان، وبهذا يكون الروس قد حاصرونا من أربع جهات.

والله يا إخوة؛ أذكر في ذلك اليوم أنّني جلست مع المجاهدين الذين حولي، وذكّرتهم بالله، وأنّ الله -سبحانه وتعالى- وعدنا إحدى الحسنيين؛ إما النصر وهو نصر لهذه الأمة ولهذا الدين، وإما الشهادة في سبيل الله وهي نصر، فهذه حسنى وتلك حسنى، وأسأل الله أن يكرمها بها، وكنت في نفسيّة مُتعبة كثيرًا، والله ثلاثة أو أربعة أيام ما مرّت الابتسامة على وجوهنا. وكنت أقول للإخوة: (عليكم أن تستعدوا). ومررت على بعض المجموعات، والكل يسأل: (ماذا نفعل؟ ما العمل؟)، فكنت أقول لهم: (استعدوا للقاء الله، واذكروا الله كثيرًا، والحمد لله، ونسأل الله أن تأتي الطلقة بين أعيننا لا من ظهورنا، نسأل الله الشهادة ونحن مُقبلين غير مدبرين، فاستعدوا لأمر الله). كنت أتكلّم حقيقةً وليس عندي أيّ حل، فنحن وقعنا في حصار من أربعة اتجاهات، والعدد كان كثيرًا والأسئلة كانت كثيرة، وكل فترة تسمع: (قُتل فلان وجُرح فلان)، والذي يصرخ: (أريد خيلًا، أريد كذا)، فنقول له: (ليس عندنا خيل)، والذي يقول: (ماذا أفعل)، فنقول لهم: (لا أعرف، كل واحد يدبّر أمره) أو (اسأل الأمير الفلاني)، فالحقيقة كان الوضع سيئًا وصعبًا جدًا. تركنا في تلك القرية أكثر من ١٠٠ جريح، واستشهد معنا في تلك المعركة وذلك القصف أكثر من ٥٠ مجاهدًا.

بعدها تحقّق الاتصال مع أخينا أبي ذر الطائفي والأخ أبي عمر، وطلبت منهم البحث عن طريق للخروج من الحصار، وكنت قد أرسلتهم من قبل في ترصّد ولكن نزل





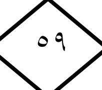
الثلج وكانت هناك عاصفة ثلجيّة فرجعوا من الطريق، فكنت أنظر في الخريطة وأتوقّع أنّ هذا الطريق قد يكون فيه المنجى والمخرج -بإذن الله تعالى- للمجاهدين، ولكن الرصد الأوّل الذي أرسلته مع أخينا أبي عمر ذهب ولم يرجع وأضاع الطريق، والرصد الثاني ذهب وضيّع الطريق وكانت العاصفة الثلجيّة. فطلبت من أخينا أبي ذر ومعه الأخ إسلام الشيشاني وثلاثة أو أربعة آخرون، طلبت منهم أن يأتوا من ذلك الطريق، فالحمد لله جاءنا الرد منهم عبر اللاسلكي: (أنّنا والحمد لله، وصلنا الآن إلى الوادي وتجاوزنا الطريق والأمور جيدة). فمباشرة ذكرت ذلك لأخينا شامل، وقلت له: (بسرعة الآن نتحرك من ذلك المكان، وأرجو أن لا يجتهد أحد بأمر من عند نفسه). فالآن ليس هناك مكان لنلتجئ فيه، فالروس قد عرفوا مواقعنا بالتحديد، وحدّدوا أماكنّا، وحدّدوا عددنا؛ يعني: كل المعلومات التي يحتاجونها عنّا عندهم، فلا بدّ أن نخرج من هذه المنطقة كلّها، فالكل وافق على ذلك. وجمعناهم بجهاز اللاسلكي وقلنا لهم: (الجميع يرجع إلى الخلف). فقال لي: (طيب الآن الروس يوجدون خلفنا)، فقلت له: (نحن نرسل رصد ثمّ نخرج عن يمينهم أو عن يسارهم). فأرسلت الرصد إلى هناك؛ أرسلت نائب القائد شامل (غِزْغِبِيلْ رَبَّانِي) -من خيرة الإخوة المجاهدين الداغستانيّن-، وكان تقريبًا من آخر المجموعات التي بقت عندنا. وكنت أخاف أن يشارك الأنصار العرب، لأنه لو جُرح أحدهم فسيشكّل مشكلة كبيرة لنا. فأرسلت رباني وصعد الجبل وأعطاني خبرًا قبل المغرب.

بدأت الناس كلّها ترجع، وصلنا في منتصف الليل بنفس الطريق الذي أتينا منه المرّة الأولى، وكان الطريق كلّه مليء بالمجاهدين، وطبعًا في الطريق وجدت أربعة من الإخوة قتلى لم يُدفنوا، فدفنت واحدًا أو اثنين وطلبت من الإخوة دفن الباقين. فرجعنا وجاء شامل فقال: (ما الحل الآن؟). فقلت: (الآن نخرج من هنا بسرعة إلى المنطقة الثانية).



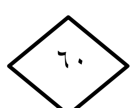
وعبرت أنا فعلًا مع مجموعة لنترصّد المنطقة. وجاء الصباح، فبقيت مجموعة هنا، وتحرّكت مجموعة بقيت مع شامل، فرتّبت الوضع. وفي اليوم الثاني، جاء أخونا شامل مع من معه من المجاهدين، ودخلنا في أرض الوادي، لا تستطيع الدواب -والله- أن تمشي فيه، حتى الماعز الجبلي لا يمشي فيه لوعورته. وكان لدينا ٢٥ من الخيل؛ مات منها ٢٠ خيلًا وأكلنا ٤ خيول، وبقي واحد معي هو الذي استطاع أن يخرج، وعبرنا المنطقة. وهذه الخيول ماتت في مناطق فيها مستنقعات طينية تدخل فيها ولا تخرج، وبقيت في مكانها بالأسلحة والذخيرة التي فيها، ولم يكن أحد يستطيع أن يدخل ليخرج الخيل من الطين. فماتت الخيول والكل ينظر إليها! فالحمد لله وصلنا إلى مخرج هذا الوادي، وكان هناك موقعًا للروس. وجاءنا خبر أن الروس ما زالوا متواجدين؛ فشكّلنا تشكيلًا سريعًا لكي نهجم على الروس، ونقتحم هذا الموقع ونفتح طريقًا للمجاهدين، فبعد ترصّد وجدنا الروس خرجوا من المنطقة. وطبعًا بفضل الله -عزّ وجلّ- فإنّ المقتلة التي حدثت في الكوماندوز وقوات الديسانت ألقت الرعب في قلوب كل المجموعات التي كانت متواجدة، ولذلك فهم انسحبوا من بعض القمم قبل هذا بيوم واحد، فنحن أتينا في اليوم الثاني.

فنزلنا من هذا المكان، ودخلنا على القرية (قرية تَاوْزَنِي) بحال لا يعلم بها إلا الله، والله إنّ أهل القرى عندما رأوا حال المجاهدين بكوا نساءً وأطفالًا؛ لأن الحال كان صعبًا جدًا، لأن بعض الشباب كان محمولًا. وأذكر موقفًا للشيخ أبي عمر، فقد كان محمولًا على أكتاف الإخوة، وكان بقية الإخوة مرضى تجمّدت أقدامهم، منهم من سقطت أرجله في الطين، ففقد حذاءه فصار يمشي في الثلج مدة يوم أو يومين بلا حذاء، فتدمّلت أرجله وانتفخت أقدامه حتى صار لا يستطيع أن يلبس الحذاء.





فوصلنا إلى تلك القرية، وحاولنا أن نُرتّب التموين في الساعة الثانية بالليل، وكان الناس كلّهم قد اجتمعوا في الشارع العام، فبقيت أجمع فيهم لعدة ساعات، فتصوّر أنّ المجموعة فيها مائة شخص أو مائتين أو خمسين، ونحن ننادي فيهم: (القائد الفلاني خذ مجموعتك)، و(القائد الفلاني اسحب مجموعتك)، وهذا يصرخ وهذا ينادي، والروس كانوا قريبين منّا. فسحبنا الناس وجمعناهم، وأردنا أن نخرج ولكن طلع النهار، فالراصد الذي يعرف الطريق قال: (لا نستطيع أن نعبر المنطقة في النهار). فقلنا نبقى الآن، فدخلنا القرية ٢٠٠ شخص، فخاف الناس منا خوفًا شديدًا، وكان الروس ينظرون للمجاهدين، والمجاهدون ينظرون للروس، والحال كان صعبًا. ففي هذا الحال مرّت دبابة قرب الموقع الذي كنّا فيه، والحمد لله ربّك يسّر وخرجنا. ولم ننتهِ من الترتيب إلّا بعد صلاة الفجر، فدخلنا القرية وجلسنا، فالناس خافت وقالت لنا: (إما أن نخرج نحن من القرية وتبقوا فيها وتقاتلوا كما تريدون، وإمّا أن تخرجوا أنتم ويبقى النساء والأطفال). فكان كلامهم منطقيًا وواقعيًا وقويًا جدًا. فطلبت منهم يومًا واحدًا فقط، حتّى يغيّر المجاهدون الأحذية والجوارب، والقرى كانت محاصرة وليس فيها شيء، والله كنا نجمع الأحذية من بيوت الناس والجوارب المستعملة من البيوت، وكانت النساء يأتين بالحليب والطعام. وكان المجاهدون يتضاربون عليها من شدة الجوع والعشوائية واللخبطة؛ يعني، حال لا يعمل بها إلّا الله -سبحانه وتعالى-، ومأساة وطين ورطوبة. وصار بعض المجاهدون يشعلون النار في البيوت التي هم فيها ويتدفؤون، وكانت البيوت التي هم فيها مهجورة. وكانت الناس تتعجب من المضاربات، حتى إن بعض الشباب قام بتصوير تلك المناظر بالفيديو، فحقيقة لم يكن هناك إمكانية للترتيب، حتى سألني أحدهم: (لماذا لا يوجد تنظيم في الأكل؟). فقلت له: (يا إخوة! نحن الآن خرجنا من حصار ومن موت محقَّق، فاحمدوا الله على ذلك ليس هناك وقت للترتيب). وكان بعض الإخوة يطالب

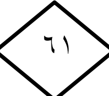




بالبطانية والحذاء، فقلت: (يا إخوة! والله لو كان معي ما منعت عنكم شيئًا)، حتى صارت شدّة في الكلام مع بعضهم فاعتذروا عن ذلك -جزاهم الله خيرًا-، وكان الوضع صعبًا فعلًا.

ثم عدّينا هذا، ودخلنا في رحلة ثانية، وقلت لهم: (يا إخوة! نحن الآن خرجنا تقريبًا من شبه حصار، ما زال الخطر موجودًا، ولكن نسأل الله أن يُتمِّم بخير). وبقي بعض الإخوة في القرية؛ منهم الشيخ أبو عمر، ومن القيادات أخونا أفغان والأخ ضرار، وأيضًا ثلاثة أو أربعة من القيادات، فبقيت مجموعة من المجاهدين حوالي ٣٠ إلى ٤٠ أخًا، وأيضًا مائة مجاهد توزّعوا في القرى بطرقهم الخاصّة عن طريق أقاربهم، وأكملنا نحن المسير في الليل. والله يا إخوة! كنّا نمرّ من تحت الروس في الغابات ونقول: (اللهمّ سلّم سلّم)؛ والحمد لله أعمى الله أبصارهم وتجاوزنا المنطقة ودخلنا في غابات كثيفة جدًا. بعد ذلك أقمنا اجتماعًا وانقسمنا قسمين؛ قسم من ٢٠٠ مجاهد تقريبًا تحركوا إلى الأرض المفتوحة إلى قراهم، واستمر معنا جزء، وأصبح عددنا تقريبًا ٧٠٠ أو ٨٠٠ مجاهد، وتحركنا باتجاه فيدنو و[...]. وكنا نسير في طريق لا نعرف أوضاعه؛ فأرسلنا الرصد في الأمام، وكان معنا إخوة يعرفون الطريق. والحمد لله، وصلنا قرب فِيدِنُو وعبرنا المنطقة، وأيضًا قرية كان يوجد فيها [...]، فالإخوة وصلوا إليها مرضى تمامًا، يعنى، هلكوا في هذه المسيرة. وكنّا قد جهّزنا لهم الأكل، فكان يوزّع عليه الخبز والطعام في الشارع، وكان أحدهم يأخذ والآخر لا يجد، وكان هذا في الليل.

فعبرنا في اليوم الثاني، ووصلنا إلى مناطق شبه آمنة، والإخوة كانوا قد وصلوا محمولين على زلاجات تسحبها البلدوزرات الصغيرة الخاصة بتقطيع الأشجار. فعبرنا هذه المناطق -والحمد لله-، ووصلنا إلى مناطق كان الروس غير متواجدين فيها، وكانت هذه نكسة



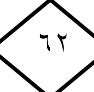


وهزيمة عظيمة للروس؛ في حين أنّهم كانوا يُمنُّون أنفسهم بانتهاء الحرب والقضاء على المجاهدين، فدخولنا هذه المناطق يعتبر بمثابة حرب وأحداث جديدة على الروس. هذه كانت هي حكاية المسيرة.

ما بعد الانحياز من شاتوي

بعد ذلك بدأنا نشتري الأحذية والألبسة للمجاهدين، وخاصّة اللباس الرياضي فلم يكن لدينا ملابس عسكرية؛ فبدأنا نرتب الأمور، والشباب استراحوا قليلًا. وإذا بالروس يفاجؤوننا بهجوم وحصار من جديد، وبقيت المجموعات في الغابات. ويشاء الله أن تدخل قافلة للروس من مجموعة الأَمُونْ، والتي كان ضربها صاعقة جديدة على الروس من جديد، بعد أن صرّح أحد الجنرالات الروس: بأنّ المقاومة انتهت، وبأنّ الحرب انتهت في هذه المناطق؛ فتفاجؤوا بمجزرة جديدة بمقتل ٣٥ من قوات الأمون، ومقتل واحد من قوات الأمون يساوي ١٠ جنود عاديين من الروس، لأنهم قوات معدّة ومدرّبة تدريبًا جيدًا ومتعوب عليها حتى وصلوا لهذا المستوى.

فانقلبت الموازين داخل الجبال، وبعدها انسحب الروس مباشرةً. وعلمنا أنّهم يُعدّون لهجوم آخر، فقمت بتوزيع الشباب على النحو التالي: أبو جعفر مع كتيبة في منطقة، وأخونا زَلْمَايْ مع كتيبة في منطقة، وأخونا يعقوب مع كتيبة في منطقة، هكذا وزّعت الناس. وفعلًا جاء أعداء الله وحاصروا المنطقة بأكثر من سبعة آلاف جندي، وكان المجاهدون قد خرجوا من هذه المنطقة، وضُربت لهم قافلة أخرى على يد مجموعة أخينا أبي الوليد -جزاهم الله خيرًا-، ثم ضُرب لهم مدد آخر، فبدأ الجنرالات يُقرّون بأنّ الحرب لم تنتهِ، بعد أن حدثت لهم مقتلة، قُتل فيها أكثر من ستّين من قوات الديسانت، ثم قُتل بعد ذلك قتل لهم ١٥ جنديًا. هذه كانت أقوى العمليات التي صارت في تلك الفترة،





في حين كانت الأوضاع هادئة في كل مكان، وبعد ذلك بدأت الأمور تتحرك والناس تتجرَّأ؛ هذا يفجر سيارة وهذا يضع لغمًا لشاحنة. فبدأت الأمور تتحرك، بعد أن كان هناك هدوء عام في كلّ مكان، حتى أنّه صارت ضربات داخل أنغوشيا. وبدأت مخاوف الحكومة الروسية من توسع دائرة القتال، وبدأت التصريحات منهم، والأمور الآن تتوسّع.

مقارنة بين الحربين

ونحن الحمد لله، نُعدّ الآن برامج كبيرة تقلب موازين المعركة -إن شاء الله-، وتضرب استراتيجيات الروس، والتي هي الجلوس في كل مكان وملاحقة المجاهدين ومتابعتهم. أمّا عن الوضع في المدن والقرى والأراضي والمناطق المفتوحة، فهناك سياسة خبيثة اتّبعتها روسيا، وهي على عكس الحرب الأولى. فهناك فروق كبيرة بين الحرب الأولى والثانية؛ في الحرب الأولى، كان الروس قد دخلوا على عجلة، ولم يكونوا مُستعدين والعشوائيّة كانت كثيرة، وكانت القوات التي دخلت قليلة. وأيضًا، كان الروس يتمركزون في المناطق المفتوحة وكذا، أمّا الآن فهم متمركزين في مكان، ويُسيطرون على القرى ويُداهمون بيوت المجاهدين، ويعرفون ضد مَنْ يقاتلون، واستفادوا من تقوية قوات الشرطة الشيشانية وأرعبوا الناس وخوّفوهم. ولهذا فالبرامج الصغيرة المتقطّعة لا تحل المشكلة الآن، فبعد أن قمت بزيارة ميدانية للمدن والقرى، رأيت أنه لا بدّ من برامج كبيرة تقلب الموازين. فأقمنا اجتماعًا مع قيادات المجموعات؛ والحمد لله، وجدت قبولًا كبيرًا وموافقة من كلّ المجموعات. الآن نحن نرتّب الأمور حتى تاريخ اليوم (٢٤-٥-٢٠٠٠م). وإن شاء الله، في الأيام القادمة تبدأ البرامج، والتي نسأل الله أن تقلب موازين القوات الروسية، ويتغير مجال المعركة إلى شكل آخر.



هذا هو الوضع تقريبًا في الشيشان في الحرب الثانية بعد الحرب الأولى، وكيف بدأت الأمور. وفي الحقيقة كان طلب من الإخوة في الخارج أن نُسجِّل مثل هذا الشريط، لعلّه يكون فيه فائدة ولو بسيطة للإخوة المجاهدين الأنصار ولأبناء الإسلام في نصرة قضايا أخرى.

توجيهات وتجارب القائد خطاب

أقول وأكرر: إذا أراد الإخوة أن يقدّمُوا نصرة لأيّ قضية، فلا بد أن تكون لهم خطوات مدروسة ليست عشوائية؛ بزيارات تلك المناطق، ومعرفة احتياجات المنطقة. ثم تشكيل ثلاث مجموعات: في المعهد، وفي الإعداد، وللتَّرصد وجمع المعلومات، ويكون ارتباطهم بالقيادة. وعليهم ألا ينتظروا شيئًا من أحد؛ فلا يتوقعوا من تلك القضيّة أو من تلك الشعوب أنّ تقوم بشيء، أو يقولوا: إذا هم لم يعملوا فلا نعمل. فأنت جئت وحضرت، فباشر العمل من اليوم الذي وصلت فيه، وهذا هو الذي يجعل الناس يُقدّرون النصرة من قبل هؤلاء.

ويجب أن يكون المجاهد مُتدرّبًا ومُستعدًّا أن يقاتل في أيّ مكان يُرسل إليه؛ وذلك بمعرفة أنواع الأسلحة، والخرائط، والاتصالات. فالجيوش لا تحتاج لمعرفة أي شيء، فقط تحتاج لمعرفة اتجاه العدو حتى تتّجه له. لذا يجب أن يكون المجاهدون والأنصار على هذا المستوى، فيجب ألَّا تكون تشكيلات المجاهدين الأنصار تشكيلات ضعيفة ومهزوزة وغير متدرِّبة، ويجب على الإخوة أن يتَّقوا الله إذا أرادوا أن يقدِّمُوا النصرة لأيّ قضيّة. الآن الجميع يسأل عن الطريق، وكيف الطريق؟ في حين عندما تسأله: هل أنت متعلّم ومُتدرّب؟ يقول لك: لا، أنا أتعلم هناك، أنا لا أحتاج للتعليم، والجميع يريد أن يصبح في خطّ الاقتحام ويستخدم السلاح الخفيف والكلاش! فاتقوا الله! فنحن يجب علينا أن



نكون مُستعدّين، فنحن نحمل رسالة وهدفًا، فيجب أن نكون على قدر هذا المستوى؛ أمّا أن نكون مهزوزين، وهذا يذهب بعد شهر وهذا يذهب وهذا يرجع، وهذا لا يعرف، فهذه تهزّ صُورة الأنصار والمجاهدين أمام تلك الشعوب.

كما يجب علينا ألا نتدخل في المشاكل الداخلية لتلك الشعوب مهما كلّف الأمر، إذا اعتدى معتدٍ فيمكن أن يردّ عليه بمثل ما اعتدى، أمّا نتدخل ونقول: ننصر هذا على هذا، وهذا على حق وهذا مخطئ، وهذا القائد أحسن وهذا أخطأ. ولقد حاول كثير من الناس جرَّنا لمثل هذه المشاكل، ولكن بفضل الله أغلقنا هذا الطريق عليهم.

كما يجب علينا الابتعاد عن المناقشات والجدل الذي لا فائدة منه، خصوصًا مع كبار الناس وكبار السن؛ هؤلاء انتهى أمرهم، والآن يوجد آلاف من الشباب يحتاج للدعوة والتعليم، فعلينا أن نقوم لهم ببرامج مُنظّمة ومُرتّبة.

ولقد منَّ الله علينا ورحِمنا رحمة واسعة، عندما قدَّمنا النصرة لهذه الشعوب، وقمنا بمثل تلك العمليات؛ فالحقيقة أُلجم أعداء الله وسُحب البساط من تحتهم، خاصّة هؤلاء الصوفية والملالي الذين كانوا يكذبون على الناس. فكلما كانوا يتكلمون على المجاهدين الأنصار، كان الناس يقولون لهم: (أنتم أين كنتم أيام القتال؟! وأين كنتم أيام كانوا يضربون القوافل والآليات؟!)، فيُلجم هؤلاء المنافقون من الصوفيّة وغيرهم.

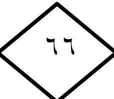
والحقيقة، أصبحنا محلّ ثقة لدى هذه الشعوب، خصوصًا الشباب الجديد، فضلًا عن كثير من العامّة. وأذكر حصلت نقاشات، وكان بعضهم يسأل شامل أو غيره، فكان يقول لهم: (هل رأيتم هؤلاء العرب دخلوا القرى؟). فقالوا: (لا). فسألهم: (هل وضعوا نقاط عسكرية وبوسطات في الطرق؟)، قالوا: (لا). (هل تدخلوا يومًا في شيء؟)، ثم قالوا لهم: (ماذا تريدون منهم؟ أناس جاءت بمحض إرادتهم وستخرج وقتما تريد، أمّا أن



نُلزم نحن الناس بشيء فهذا عار علينا وظلم). وفي الحقيقة، نحن لم نطلب من أحد أن يدافع عنا، وكنا بعيدين عن محاور النقاش وبعيدين من أن يجرّنا الناس إلى نقاشات معينة. وضعنا لنا منهجًا وطريقًا معينًا في مجال النصرة والدعوة، والحمد لله استقبلنا المئات، ولو كانت عندنا إمكانية أكبر لفتحنا أكثر من معهد وأكثر من دار لتحفيظ القرآن، وكانت المشكلة لدينا في الإمكانيات ولم تكن مع الناس.

وزار هذا المعهد القادة الميدانيّون، وأخونا شامل بنفسه جاء وأخذ دورة، وأعضاء مجلس الشورى كلهم جاؤوا وأخذوا دورات، فالحمد لله صارت لنا علاقات واسعة وكبيرة جدًا مع شعوب القوقاز. وأصبحنا معهم على ارتباط أكثر من بعض القادة الميدانيين الآخرين من الشيشان، وأصبحنا نعرف طبائع الناس، وكيف يفكرون ومع من نتعامل وكيف نعمل. ولهذا -الحمد لله- تشارك في هذا الجهاد والقتال كتائب من شعوب القوقاز؛ من القرتشاي والقبردين وأنجوش ومن الداغستان، ومن الأنصار من العرب والترك وغيرهم، وهذا عكس الحرب الأولى فقد كان عددهم قليلًا جدًا يُعدّون على أصابع اليدين.

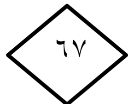
فأرجع وأقول: أنّ هذه الاستراتيجيّة وترتيب الأمور بهذا الشكل والتنسيق مع القيادة العامة، وتحديد الهدف في تقديم النصرة للناس، وأن تعمل مهما كانت الظروف والمصاعب؛ فهذا حقيقةً هو عين الصواب في تقديم النصرة. والأمثلة كثيرة والحديث قد يطول في ذكر القصص والأمثلة، ولكن أقول: لعلّ هذا يكفي في توضيح الفكرة التي كنت أريد أن أوضّحها من قبل للإخوة المجاهدين في تقديم النصرة في أيّ مكان. فذهاب الناس بشكل عشوائي، ودون إعداد ودون وضع خطة للعمل، هذا -والله- يضرُّ بالعمل أكثر مما ينفعه، ويجعل النّاس غير متحمّسة لاستقبال الأنصار في أيّ





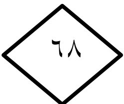
مكان. أمّا إن كان الإخوة يرتّبون وينظّمون ويخطّطون، فسيصبح الإخوة محلّ ثقة. وفي أيّ قضية ستجد الشعوب تطلب الأنصار، وتتمنى تواجدهم في دفع عجلة الجهاد، وسيجدون ما ينقصهم عند هؤلاء. أما أن نأتي نحن بدون ترتيب، كما ذكرت لكم في الأمثلة البسيطة، وتكون الأمور عشوائية؛ وهذا مع المجموعة الفلانية، وهذا مع مجموعة ثانية وثالثة وهكذا، وكذلك المؤسسات والهيئات الإغاثية، فهذا العمل للمؤسسة الفلانية وهذا للهيئة الفلانية، وهذه لها منهج، وتلك لها طريقة، فينتج عن هذا مشاكل في العمل الإغاثي، وكذلك مشاكل في العمل الدعوي، وأيضًا مشاكل في العمل العسكري، فحقيقة سيأتي هذا بنتائج سلبيّة في كلّ مكان. فتجد الناس تقول في نهاية القضية: يلّا مع السلامة اذهبوا يا أصحاب المشاكل! وتبدأ الناس تُديننا وتتكلَّم علينا.

بل أنبّه أنّ هناك جهات معيّنة تابعة لدول أو لأجهزة الاستخبارات، تتعمّد تقسيم العمل الإغاثي إلى أشكال معينة، وأيضًا حتى العمل العسكري بدعم بعض القيادات؛ حتى يتفرّق أبناء الإسلام، ولا يتوحَّدوا في تقديم نصرتهم لأيّ قضيّة أو دعمهم الإغاثي لأيّ قضيّة. فهم يَتعمّدُون دعم جهات معينة، أكثر من جهات أخرى، ويتعمّدون توزيع الناس وتقسيمهم في القضيّة، بل حتّى ينقسم الناس في البلاد الإسلامية؛ فتجد أناسًا يقفون مع فلان وآخرون يقفون مع علّان، وتزيد الناس وتُنقِص ثمّ يخوضون في كثير من الأمور التي لا ينبغي لهم أن يخوضوا فيها. وهنا ينشط الـمُغرضون والحاقدون على أهل الإسلام وعلى المجاهدين؛ ينشطون في مثل هذه المشاكل لتحقيق غرضهم ومقصدهم. فأقول يجب على الإخوة أن يحذروا من مثل هؤلاء. ويجب على المسلمين أن يتَّقوا الله في تقديم العمل الإغاثي وفي تقديم النصرة لأيّ قضيّة، وإلا سنكون محلّ زعزعة الثقة مع الناس، حتى يقولوا لنا: نحن لا نريد منكم أيّ شيء، لا عمل إغاثي ولا عمل عسكري، فأنتم أصحاب مشاكل، وأنتم لا يأتي منكم إلّا هذه الأمور!





فالثقة من طرف هذه الشعوب بالأنصار، لا تأتي –والله– بتقسيم الأموال، ولا تأتي إلا بأن تصدُق معهم وتشاركهم، وهنا أذكر مقولة للشيخ عبد الله عزام –رحمه الله–، كان يقول: (لا تستفيدوا من الشعب الأفغاني وتحقّقوا مقاصدكم). فلقد جاءت تنظيمات كثيرة، وجاء أناس من دول مختلفة، ومن كل العالم جاؤوا؛ وهذا عنده تنظيم، وهذا عنده حزب، وهذا عنده فكرة، في حين كان الشباب الجدد وخصوصًا الشباب من الجزيرة جديدين على مثل هذه الأمور، لم نكن نعرف هذه الأمور. بل الواحد فقط يتوكّل على الله وينطلق، وكانوا يسمّوننا طبقة (أبو أسبوعين)؛ في أسبوعين تذهب للمعسكر ثم للجبهة ثم تستشهد. فقد كنّا مثل الدفتر الأبيض، ولم نكن نعرف هذه الأمور، والساحة كانت مليئة بتنظيمات ومناهج وأفكار. والحقيقة، لم يكن الواحد يستطيع أن يتعلّمها لو درس في الجامعة عشر سنوات لولا الذهاب للميدان، وكانت الناس تأتي وترتب أمورها وتدرّب عناصرها، وتريد أن تنشر أفكارًا معيّنة، وكانوا يستفيدون، ولكن في الأيام الأخيرة لم يكونوا يُفيدون القضية كثيرًا. فقط كانوا جالسين في بيشاور وهذه المناطق، ولا يهمهم ما يحدث، في حين كنا نستطيع أن ندخل ونفتح مناطق ونعيش فيها فيما بعد، وتكون ملجأ لضعفاء المسلمين بعد الله –سبحانه وتعالى–. فكنّا إذا اشتغل الأفغان اشتغلنا، وإذا لم يشتغلوا نجلس بلا عمل؛ فتجد أنّ القائد الفلاني يلفّ ستّة أشهر في باكستان وفي كلّ مكان، ثم يرجع في يوم واحد للجبهة ويقول: (عمليات شروع، جنك شروع)، يعني: العلميات تبدأ. فنُطلق النار أسبوعًا ثم تنتهي العملية، ثم نبقى في الجبهة ننتظر ستة شهور أو أربعة شهور، هذا كان وضعنا حقيقةً في الأيام الأخيرة في أفغانستان. لم يكن أكثر الناس يهمّها فتح المناطق والعمل، ونحن والله كان عندنا من الذخيرة والسلاح أكثر من بعض القادة الأفغان، لكن كنّا ننتظر حتى يتحرّك القائد الفلاني؛ يعني: كان وضعنا صعبًا جدًا في الأيّام





الأخيرة. والناس كانت تهتم فيما عندها، وتهتم بتنظيم أمورها، وترتيب تنظيماتها وتدريب عناصرها إلخ، ولم يكونوا يفكّرون بالأفغان. ولذلك -حقيقةً- أعطانا الأفغان في النهاية مثلما أعطيناهم، ونحن لم يكن يضرّنا لو صدقنا مع هذه الناس أو لو كتب الله لنا الشهادة في هذا المكان أو في مكان آخر، وهكذا انتهت القضية بدون أن نحقّق الشيء الذي نريده. وأنا شخصيًا، لا أنسى فضل الشعب الأفغاني بعد الله -سبحان وتعالى- في أنه عَلَّمَنا وجَعَلَنا نشارك في تلك القضية، لذا فأنا أحبُّ الشعب الأفغاني وأعزّه وأتمنّى أن أكون على اتصال معه وأزوره دائمًا، ولنا حقيقةً هناك قيادات وقادة وأخوة أفاضل أتمنّى أن أكون على ارتباط دائم معهم. فهو شعب له عزة وأنفة وقاتل الاتحاد السوفياتي في وقت لم نكن نحن نصدّق أو نحلم أن يعود الجهاد للأمة الإسلامية، وكانت آية من الله -سبحانه وتعالى-؛ أفقر شعب في العالم يطحن الاتحاد السوفياتي عشر سنوات، واليوم هنا في الشيشان أصغر شعب في العالم، يطحن روسيا في قلب روسيا، فهذه آية من آيات الله.

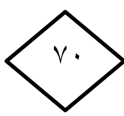
والله لو أنَّ الواحد منّا لم يشارك في هذه القضايا، لـمَا صَدَّق كل هذا، ولقال: يمكن أن هذه دعاية أو مسرحيّة يقيمها الناس. ولكنها آية من آيات الله للأمّة الإسلاميّة، لكي تصحو الأمة من سباتها. في حين أنّ الشيعة والعقائد الباطلة تخوض جهارًا نهارًا غمار المعارك ضدّ إسرائيل، وتسحب البساط من تحت الأمّة الإسلاميّة، وتدَّعي بأنّها صاحبة الحرب ضدّ إسرائيل أو ضدّ اليهود، ونحن أصبحنا العملاء والمنافقين، وهذا هو الذي يظهر اليوم للعالم البعيد؛ هم يُعدّون العدّة، في حين أنّنا نحن نعدّ موائد الطعام والشراب!



فأقول: نحن كنّا بالفعل بحاجة لأن نقدّم نصرًا قويًّا للقضية، لأنّ نجاح هذه القضيّة هو نجاح للقضيّة التي بعدها والتي بعدها. والحقيقة القضيّة الأخيرة كان فيها مشاكل ونقاط كثيرة، ولكن أقول [كما] كان الشيخ عبد الله عزّام يقول: (اصدق مع هؤلاء الناس، ولا تستفيدوا وتحقّقوا مآربكم وتتركوا هذه الشعوب)، نفس الشيء في الشيشان؛ [...].

وأقول: أنّ أكثر القضايا هي تحت الضوء الأخضر؛ فإذا كان هناك ضوء أخضر من الغرب فالعالم يساعد، وإذا لم يوجد ضوء أخضر تُرمى القضيّة. القضيّة الطاجيكيّة رُميت تمامًا؛ لأنّه لم يكن هناك ضوء أخضر لها. وكذلك القضيّة الشيشانيّة في الحرب الأولى رُميت تمامًا، والعالم الإسلامي تركها، بل حتى الأحزاب والتنظيمات والتجمعات الإسلاميّة تركوها؛ لأنّهم رأوا أنّها قضية خاسرة. وبالفعل، نحن كنّا داخل القضيّة نتوقّع أن تنتهِي القضيّة بانتصار الروس إلّا أنْ يشاء الله تعالى. وكذلك قضية البوسنة، كانت مُتوقّفة في البداية، ثم عندما جاء الضوء الأخضر فهبّ ودبّ إليها الجميع.

فالآن الحرب الثانية في الشيشان فرضت نفسها على الواقع، بل هناك شيء جديد وهو أنَّ المسلمين هم من يبدؤون، فأصبح الناس ينظرون إلى القضية بشكل آخر. ولذلك فالحرب الثانية لها صدى كبير، وعلى العكس من السابق. فكنّا نَرى مَآسٍ ومذابِح تُحطِّم النفوس والمعنويات، ولا يملك الإنسان سوى البكاء بدل أن يُكبّر ويفرح ويعتزّ بما عنده. فأقول: الصدق مع أيّ قضيّة تعمل فيها، هذا له عامل كبير. فالشيشان رأت الناس أنّها مُحاصرة وقضيّة مُنتهية، فلم يشارك أحد، ووضعها الجميع على الرفّ. فأقول: الإنسان لا يعلم أين تكون الخاتمة، هل في هذه القضيّة أو في قضيّة ثانيّة أو



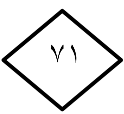


الخط الأول أو في هـذه العمليّـة أو في السَّـاقة، فـأقول أينمـا كـانت الخاتمة فعلينـا أن نصدق.

نحن عندما أكرمنا الله تعالى وجئنا لنعمل مع الإخوة الطاجيك تعبنا -والله- تعبًا لا يعلم به إلا الله -سبحانه تعالى-. كانت القضيّة محطّمة تمامًا، يعنّي: كنّا نأخذ من أموال المُهاجرين، وكان بعض الناس يعطوننا قروضًا من أجل المهاجرين، وحتى الطحين والرز كانت الناس تتصدّق به علينا، كل هذا حتى نستطيع أن نُمشِّي أمور الجبهة. فخرجنا من هناك مديونين وبعض الناس تصدّقت علينا وسدَّت حسابات الديون. ونفس الشيء أيضًا في الشيشان.

فعليك أن تصدق مع الناس، فإذا دخلت قضيّة تؤمن أنّ العمل لله فعليك أن تُنجز، سواء كنت في عمل دعوي أو عمل عسكري. وهذا كان مهم جدًا للإخوة المجاهدين في تقديم نصرتهم لأيّ قضيّة، والحقيقة كنت أتمنّى من القديم أن أبيّنها للإخوة المجاهدين.

والآن مرّة أخرى الجميع يسأل: أين الطريق؟ وكيف الطريق؟ وجاء أناس غير مدرّبين وغير مهيّئين، والنتيجة ما رأى الإخوة أو ما ذكرتُ لكم في هذه المسيرة التي أُلّف فيها كتيّبات؛ مثل رحلة أبو بطوطة ورحلة ماجلّان وأخبار القلم والسيف، ورحلة الشتاء والصيف. كان الإخوة يكتبون، وألّفوا مؤلفات وأشعارًا في هذه المسيرة، وأكثر شيء كان صعبًا على نفسي حقيقةً أن يخرج هؤلاء الإخوة بنفسيّة مُتعبة جدًا ومُحطَّمة، بدل أن يخرجوا بتجربة وأن يُعدّوا أنفسهم ويشاركوا في الكثير، خرجوا بنفسيّة متعبة، والله أنا متألّم منها. بل منهم من سألني: (إيش رأيك؟)، فكنت أقول لهم: (أنا رأيي ذكرته لكم قبل رحلة الشتاء، أمّا الآن فليس عندي رأي، الآن وجب عليكم البقاء حتى تضع الحرب أوزارها). فلماذا يصل الإخوة إلى ما وصلوا إليه؟! ولماذا هذه العشوائية وعدم

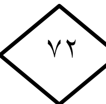




الثقة؟! فهذا هو الذي حدث، وإلى الآن هناك إخوة يقولون: (نحن نريد الآن أن ندخل الآن). يدبّر ألفين أو ثلاثة آلاف دولار حتى يدخل، فإذا لم تصدّق إخوانك فمن ستصدّق؟! فقدّم حسن الظنّ قبل أي شيء.

وأيضًا قضيّة الوحدة، الآن الناس تطالب: بأن توحّدوا ووحّدوا الكلمة؛ كيف نتوحّد والناس في الخارج هي التي تقسّم؟! فتُطعم رأسين أو تدفع الناس، لأن يدعموا حزبًا أو تنظيمًا أو شخصيات معيّنة، ثم يقولون لهم: اجتمعوا، فكيف تريدون من الناس أن تجتمع؟ وعلى أي شكل من الأشكال سيجتمعون؟! الله خلق الناس على مستويات: فهذا يعرف وهذا لا يعرف، وهذا له نظرة معيّنة وهذا له نظرة بشكل آخر؛ فمن الأكيد والطبيعي أن تختلف الناس. والحمد لله، الناس كلها متّفقة في نصرة الدين وفي العمل وكذا، ولكن الناس ستختلف. فالناس لصِدقهم قد يدعموا ويساعدوا بشكل عفوي؛ ولكن أخشى بل الذي نعلمه حقيقةً في كثير من القضايا أن هناك أناسًا تتعمّد مثل هذه الأمور، وتسعى كما هو ملحوظ حتى في العمل الإغاثي هناك جماعات وهيئات، فإذا لم تستطيعوا أن توحّدوا العمل السلمي أو العمل الإغاثي أو العمل الدعوي مع بساطته، فكيف سيتوحّد الناس في عمل عسكري؟! حقيقةً، الناس تطالب بشيء، وهم بأنفسهم ينقُضونه بعملهم.

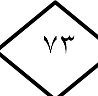
ونحن نؤكّد أن الإخوة من أهل الخير على صدق وعلى حسن نيّة، والله لا يشكّ أحد أنّهم يتعمّدون مثل هذا، ولكن هناك جهات رسميّة تتعمّد مثل هذه الأمور. فأقول: والله الناس صادقون، ولكن لا يحلم أهل الإسلام بتلك النتائج التي يريدونها وهم على هذا الشّكل، بدون أن تكون هناك استراتيجيّة معيّنة، وخطّة مدروسة لها خطوات





محدّدة، وأيضًا دون أن يكون هناك توحيد من الناس في قضية الدعم، وإلا سنخرج بمثل ما خرجنا من أفغانستان في بيشاور بمشاكل لا حدود لها أو في البوسنة.

فأقول التجربة في الشيشان كانت تجربة جيّدة وناجحة، والفضل لله -سبحانه وتعالى- ثمّ لإخوانكم الذين حقيقةً جمعوا كلمتهم ورتّبوا أمورهم؛ وأيضًا، حقيقةً قِلّة العدد وعدم كثرة الناس وتشتيت الأمور، كان له أيضًا عامل بعد فضل الله -سبحانه وتعالى-. وهي حقيقة نقطة كنت حقيقة أريد أن أوضّحها أكثر من أن أشرح العمليات التي حدثت، فضل الله كان كبيرًا علينا في العمليات. والحقيقية يا إخوة، كنّا نُعدّ الأمر بالشهر والشهرين حتى تكون هناك نتائج طيّبة، ولعلّ أشرطة الفيديو تكفي للتفصيل فيها وبيان ماذا حدث، ولعلّنا نتكلم عنها في أشرطة أخرى أو مناسبة ثانية إن يسّر الله -سبحانه وتعالى-.





أسئلة

الإخوة هنا كتبوا طلبات عن عناصر الحديث:

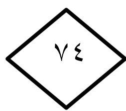
س/ من هو ابن الخطاب؟

لا أعتقد أنّ هناك فائدة من ذِكر هذا: أخوكم من مواليد شمال الجزيرة، أنهيت الدراسة الثانوية وكنت مُقْدِمًا على الدراسة في أحد البرامج في الخارج، لكن ذهبت لأفغانستان في عام ١٩٨٨م بعد معركة جاجي، ونسأل الله أن يتقبّل من الجميع وأن يجعل ذلك خالصًا لوجهه، شاركت في قضية أفغانستان ثم طاجيكستان ثم قضية الشيشان.

كنت في أفغانستان قائدًا لسرية المدفعية في جلال آباد مع الأخ أبي أيوب العراقي -حفظه الله-، ورتّبنا عدّة عمليات جيّدة، شارك فيها معنا إخوة كثير.

وفي طاجيكستان كنّا نمسك قيادة جبهة مع أخينا عبد الصمد -رحمه الله-، بارتباط مباشر مع القيادة مع الأخ عبد الله نوري.

ثم في الشيشان كنت قائدًا في الجبهة الوسطى مع الأخ شامل، إلى أن جاءت عمليات داغستان وكنّا ممسكين بالقيادة الميدانيّة للجيش الإسلامي وجميع التجمّعات التي شاركت في المعركة. والآن أيضًا، نحن نُمسك بنيابة القيادة الميدانيّة للعمليات في المناطق الجبليّة، ونقوم بإعداد برامج العسكرية، ويشارك فيها الجميع -بفضل الله تعالى- ويثقون بما نقوم به. وإخوانكم اليوم محل ثقة في أرض القوقاز من القادة الميدانيين ومن كثير من العامّة من الناس للعمل الذي جئنا لأجله، نسأل الله أن يتمّم بالخير وأن يتقبَّل منا ومنكم وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم.





عمليات من الحرب الأولى

النقطة الثانية التي طلبها الإخوة: عمليّات قمت بها في الحرب الأولى كان لها أثر فعّال؛ لعلّي ذكرت هذا في أشرطة واضحة في هذا الأمر، وأرجع وأقول: كنّا نشارك إذا طلب منّا الإخوة الشيشانيّون المشاركة في العمليّات، ولم نكن نرفض المشاركة مع أحد، ولذلك كانت لنا علاقات طيّبة مع كلّ القادة الميدانيّين؛ فشاركنا مع جلاييف سَلْمَانْ رَدُوييِفْ ومع شامل ومع الجميع.

في حين عندما لا يكون عند أحد شيء، كنّا نحن نرتّب برامج لوحدنا، فكان لها أثر طيّب، وأعطتنا ثقة في أنفسنا -بعد ثقتنا بالله تعالى- أنّنا نستطيع أن نقوم بشيء، ونستطيع أن نُغيّر مَجرى الحرب بعدما كنا في السابق نخاف ولا نتجرّأ ونتردّد في أيّ عمل.

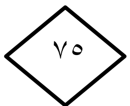
- وكان من أفضل هذه العمليات عملية خَارَاتْشُويْ، وكانت في شهر ١٠ عام ١٩٩٥ م، ضربنا فيها قافلة.

- وبعدها في ٣٠ مارس في ١٩٩٦ م ضربنا قافلة في سِرْجِنيُورْتْ.

- وبعدها في ١٦ أبريل، أي بعدها بأسبوعين أو ١٦ يومًا؛ ضربنا قافلة يَارِشْمَرْضِي في شَاتُويْ؛ والتي حقيقةً هزّت الروس كثيرًا وأعلنوا عليها الحداد، وجعلوها من كوارث روسيا.

- وبعدها في شهر مايو، حاولنا أن نضرب قافلة رابعة إلّا أنّ الأمر لم يتيسّر فضربنا مدفعية وطائرات هليكوبتر وأخذنا الموقع وأسرى وآليات وغنائم.

- ثم شاركنا في عمليات دخول جروزني وعمليات أَرْغُونْ.



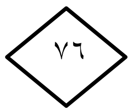


ما بعد الحرب الأولى

أمّا ما بعد الحرب الأولى والترتيب والتنظيم، ذكرنا هذا الأمر؛ من نشاط المعهد وترتيب أمور الإخوة الأنصار، وعدم تشتُّت الجهد. واستفدنا من طاقات كل الإخوة؛ فبعض الإخوة مثل أخينا أبي الأنصار الذي أحبّه كلّ الشيشانيّين، كان مسؤولًا عن الحراسة، وكان فقط عنده مواقع للحراسة حول موقع المعهد والدار والمطعم العام الذي كان للمعهد والمعسكرات، فكان يشكّل الحراسة وكانت كلّ الناس تعرفه وتقدّره، وكان نائب أخينا عبد الصمد الذي استشهد -رحمة الله عليه- بعد أن ضربته الطائرة. فقال هذا الأخ: (أنا لا أستطيع أن أدرّس ولا أن أعلّم ولكن أعمل في الحراسة). فكان خير من أمسك أمنيّات وحراسة المنطقة التي كان يتواجد فيها الإخوة، حتى أنّ أحد الإخوة المجاهدين قال له: (يا أخي، أنا أريد أن أسألك سؤالًا، بالله عليك متى تنام؟)، بالليل تجده يلفّ بالسيّارة، كان عنده سيارة جيب مفتوحة، ومعه أربعة أو خمسة من الإخوة، فيلفّون ويقومون بحراسات منظّمة ومرتّبة وبوابات. وقبلها، كانت هناك عشوائيّة حقيقةً، فبعد أن رتّب هذا الأمر استفدنا كثيرًا. كان يدور في الليل وفي النّهار، تلفّ خلف الشجرة فتجده، وتخرج في الليل فتجده، وتنزل يمينًا تجده، فكان موجودًا في كلّ مكان، فقال له الأخ: (أخبرني هذا السرّ؛ أنت متى تنام؟)، وقد استُشهد رحمة الله عليه.

استفدنا من طاقات جميع الإخوة، وكان بعض الإخوة يمسكون المطبخ، وبعضهم يمسك المشتريات، وبعضهم يمسك التدريب، ويعضهم يمسك المكتبات والتسجيلات. كان حقيقةً مُجمّعًا إسلاميًا جميلًا جدًا استفاد من شباب القوقاز، نسأل الله أن يمنّ علينا بمثله أو بخير منه.

محاولات الاغتيال





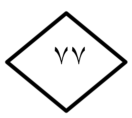
أما عن محاولات الاغتيال التي تعرّضت لها: فقد كانت حقيقة محاولة واحدة في بداية الحرب الثانية، وأيضًا كانت هناك محاولة ثانية في البيت بعد أن صار تفجير قرب غرفة النوم عند المطبخ، وكان تفجيرًا قويًّا جدًا، ولكن الحمد لله لم يُصب أحد.

معركة بُويْنَاكْسْكْ

بويناكسك، كانت عملية بعد نهاية الحرب الشيشانية الأولى بسنة ونصف تقريبًا. وكنّا بعد الحرب نقوم بالترصّد، وكنّا نلاحظ تواجد كثير من الفرق العسكرية في داغستان وأنغوشيا، يعني: لم تذهب بعيدًا. فكنّا نترصّد وجاءت معلومات طيّبة، فالناس دخلت وترصّدت وجاءت بمعلومات.

وهذه الفرقة كانت مرابطة في الشيشان في [...] وأيديهم ملوثة بدماء المسلمين، فجمعنا الشباب ورتّبناهم، وكانوا ١٠٠ شخص. ودخلنا ذات ليلة، وكان هدفنا أن نأخذ الدبابات والآليات فقد، فكان هناك أكثر من ٦٠ دبابة طراز (T ٧٢)، وكذلك يوجد آليات طراز (T ٨٠) من أحدث الدبابات، ويوجد ١٠٠ آلية؛ يعني: يوجد حوالي ٣٠٠ آلية موزَّعة في ١٨ مستودع. فدخلنا عليهم، وسيطرنا على الفرقة في دقيقتين ثلاثة دقائق، فمباشرة ضربنا الحراسة ودخلنا المعسكر، ثمّ حاولنا أن نشغل الدبابات. ولكن كان عندنا خطأ كبير في ترتيب العمليّة، وهي أنّنا ما أخذنا الكفاية من المعلومات؛ إذ كان من المفروض أن نأخذ ضباط وجنود روس ونسألهم حتى يُعطونا ما يلزم، وكان ذلك سهلًا.

ففي مثل هذه العمليات، من الصَّعب أن تكتفي بالترصّد من بعيد، فنحن كنّا معتادين على الترصد في الجبهة حيث تبني البرنامج على المعلومات التي تأتي من الترصّد من بعيد، لكن في مثل هذا البرنامج كان المفروض علينا أن نتعمق أكثر داخل العدو.





فكانت الدبابات جاهزة، وجهَّزنا لها مفاتيح خاصّة، وعملنا كل شيء مُحتمل، ولكن لم نكن نتوقع أن تكون خالية من الديزل وليس فيها البطاريات! وكان صب الديزل وتركيب البطّاريات يحتاج ليوم كامل، فضلًا، عن أنَّ أخانا حكيم -جزاه الله خيرًا- أحرق كل الوقود واشتعلت النيران فخاف الجنود وهربوا.

وكان أهمّ شيء في الخطّة أن نشغّل الدبّابات ونسيطر على المدينة العسكرية، ونأخذ أكثر من ٥ ألف أسير روسي ونسوقهم كالغنم إلى أرض الشيشان ونأخذ الدبابات. ولكن كانت هناك مطالب وترتيبات معينة لم تتمّ؛ فلم تعمل الدبابات واضطررنا إلى إحراقها وتدميرها، فضربنا أكثر من ٦٠ آلية في الموقع، ولم يكن هناك وقت لتدمير الباقي.

فجمعنا المجاهدين في ربع ساعة وانسحبنا إلى أرض الشيشان، فأخرج الروس قافلة لمحاصرتنا، وأعلنوا أنهم حاصروا المجاهدين وأنّهم سيقضون عليهم. فدارت معركة حامية جدًا، ضربنا لهم فيها آليتين وقُتل لهم قتيل، وقُتل من عندنا ثلاثة من المجاهدين نسأل الله أن يتقبّلهم. وكان على رأسهم أخونا الشهيد أبو بكر عقيدة -رحمه الله-[٣]. فانتهت العملية في يوم واحد، وأكلها الروس وأيّدنا الناس، ولم يكن فيها أي اعتداء على أيّ مدني ولم يؤذَ فيها أحد من الناس، إلّا سيارة جيب شبه عسكريّة، أوقفها الإخوة فلم تقِف وكان فيها مدني، فأطلقوا عليه النار فانقلب وتوفي من حادث السيّارة.

قبل الحرب الثانية

[٣] أشرف بن عبد الحميد الشنتلي، من أرض مصر، كان من المجاهدين في أفغانستان ضد الروس ثم التحق بجبهة الشيشان، له روايات ساخنة من أرض الشيشان كتبها عام ١٤١٧هـ.



هذه ذكرناها لكم، أن الروس كانوا يترصّدون، ودخلوا كيلو متر كاملًا في ولاية شِلْكَوْسْكُويْ، وأيضًا في نَئُورْ، وكانت بوادر الحرب واضحة لمن يعيش في هذه الأرض، على عكس ما يتصوّر المسلمون في الخارج.

كشف الجواسيس

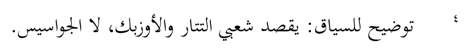
تم كشف عناصر من الأوزبك والتتار -وهم مسلمون ولغتهم قريبة[٤]-، فكان مجيئهم إلى منطقة المعسكر سهلًا، والذي كشفهم من نفس قوميتهم، ثم بعد أن كشفنا واحدًا عثرنا على ثانٍ وثالث [ممن] تورط [من] عناصر التتار؛ فقبضنا على أكثر من ٣٧ عنصرًا من عناصر الاستخبارات. وقد ذكروا لنا أنهم كانوا قادمين لأهداف معيّنة: منها قتل بعض الشخصيات، وفعلًا جاءت مجموعات كبيرة من التتار في التاريخ الذي ذكروه، وكان أكثرهم عملاء للاستخبارات، وكان فيهم أناس صادقون وإخوة أفاضل، وكان هذا بحد ذاته مبرّرًا كافيًا لبدء الحرب ضد الروس قبل أن يدخلوا علينا.

أحداث بُوتْلِخْ

أعتقد ذكرناها لكم بالتفصيل، وكان الأمر تقديم نصرة ولم يكن هناك خيار، ونحن لم نكن نريد أن تكون الأحداث بالشكل الذي وقع، ولكن هناك أناس -هداهم الله- تعجّلوا ولم يسمعوا؛ كانت لهم اجتهادات في داخل داغستان، نسأل الله أن يتقبّل منهم ومنّا، وأن يعفو عنهم وعنّا.

دخول العرب

تكلمنا عن هذا بشكل تفصيلي، والأحداث التي جرت، وأتمنى من الإخوة [...] إلى أن أمسكنا الجبهات في جبهة دُبَايُورْتْ وجبهة فِيدِنُو، وكانت من أقوى الجبهات التي


[٤] توضيح للسياق: يقصد شعبي التتار والأوزبك، لا الجواسيس.

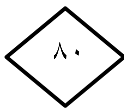


دارت فيها معارك حامية جدًا، ومنّ الله على المجاهدين بنصر مؤزّر بأن ألحقوا بأعداء الله خسائر فادحة في الآليات والمعدّات والأرواح والجنود الروس.

معركة أرجون

بعد أن حاصر الروس مدينة غروزني، وصار الضغط شديدًا على المجاهدين داخلها، ونحن أيضًا كان علينا ضغط في الجبهات التي كنا فيها؛ رتبنا رصد المدن: أَرْغُونْ وغُودِرْمِيسْ وشَلِي، على أساس أن نقوم بعمل عسكري، حيث كانت القوافل الروسية هناك تتحرك بشكل مكثَّف. فطلبت من كل قائد مجموعة: أن يُجهّز ٢٥ مجاهدًا من مجموعته، ونتحرك تحركًا سريعًا في عمليات خاصة ونرجع. وكنت أتمنّى من المجاهدين في ذلك الوقت أن يخرجوا من العاصمة جروزني، وذكرت بالشيفرة لأخينا شامل أن يخرج في هذا الوقت من العاصمة، ولكن لم يفهم الشيفرة. قلت له: (علينا أن نتقابل)، فكان يظنّ أنّني أقصد أن نتقابل أنا وإيّاه؛ وأنا كنت أقصد أن نتقابل جميعًا بالخروج من العاصمة وأن يأتوا للجبال، فلم يفهم عليّ ولم تكن بيننا شيفرة مُرتّبة.

فأخذنا من المجموعات: مجموعة أخينا يعقوب، وأخينا أبي الوليد وجعفر، وأخينا عمر، وأخينا شامل غِزْغِبِيلْ -رحمه الله-، وهو من أحب وأقرب من رأيت من الإخوة الداغستانيّن، ومن أشجعهم، استُشهد -رحمه الله- في جبهة دُبَايُورْتْ بعد ذلك، وكان جاء في مدد لأخينا أبي الوليد. وكذلك كان معنا أيضًا، أخونا أسلم بيك ومجموعات من الشيشان وجند الله، ومجموعة آدَم خَتُّونِي، ومجموعة أخينا رمضان ونور الدين وعبد الهادي؛ يعني: شاركت مجموعات طيّبة في هذا البرنامج. فتجمّعنا ٤٠٠ مجاهدًا في منطقة، وتحركنا مباشرة إلى منطقة العمليات، وتعبت الناس من الثلوج، فقد كانت مسيرة من الساعة الرابعة عصرًا حتى السابعة صباحًا، يعن:ي أكثر من ١٣ ساعة، فتعبت





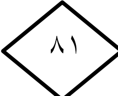
الناس من المسير. وعندما وصلنا إلى المكان، توزّعنا وبدأنا نرتّب الأمور، فسيطرنا على الطريق العام الذي يربط قودرميس بأرجون، وكان هو طريق القوافل التي تذهب لجروزني، والطريق بين شالي وأرجون وبين أرجون وجروزني، فوضعنا مجموعات في كلّ مكان.

ففي صباح اليوم الثاني، جاءت قافلة من عشر آليات فضربها أبو جعفر، فكبّر الناس. وبعدها بنصف ساعة، جاءت قافلة من المكان الذي أنا فيه فضربناها، وكان فيها ١٢ آلية، ثم بعدها بساعة جاءت أربع آليات مددًا من جهة مجموعة يعقوب وأخينا رمضان والشباب هناك. وبعدها بساعتين، هجم المجاهدون على تجمّع لقوات الأمون وضربوا السيارات، ثم جاءهم مدد من آليتين فضربوه، ثمّ جاءهم مدد جهة أخونا عبد الصمد فضربوه. وأصبح الروس لا يعرفون ماذا يفعلون؟ كلّما أرسلوا آلية في الطريق تُضرب. فأرسلوا قوة لعمل بوسطة نقطة حراسة، فضربها الإخوة. وقبلها بيوم، ضرب أخونا يعقوب ورمضان آليتين، فدمّرنا لهم ٤٧ آلية، وكان القتلى بالمئات بفضل الله -سبحانه وتعالى-.

لكن الإخوة -هداهم الله- لم يخرجوا من العاصمة، وهذه كانت تقريبًا أحداث أرجون (عملية العيد)، وكانت من أجمل العمليات ومن أسرعها، وكانت خاطفة ولخبطت حسابات الروس في ذلك الوقت. وصُوّرت ونُشرت في شريط (جحيم الروس الجزء الأول) عام ٢٠٠٠م، وتمنينا لو كان هناك عدد أكبر من الكاميرات لنقل صورة جميلة، ومشاهد جيّدة من المناطق التي دارت فيها المعارك.

مسيرة جروزني

كانت المسيرة صعبة للغاية، وكان عدد المجاهدين أكثر من ٣ آلاف. وأكبر الأخطاء التي حدثت في تلك المنطقة، هي أن بعض المجموعات بدأت تخرج دون إذن القيادة





العامة في جروزني؛ فأعطوا فكرة للروس أن هذه المنطقة يُحتمل أن يخرج المجاهدون منها فزرعوها بالألغام. وكذلك قام الإخوة خاصّة الأخ شامل وعَرْبِي بَرَايِيفْ معًا بعمليّة في هذه المنطقة؛ فوضع الروس فيه الحراسات. والمفروض إذا كانت هناك منطقة تريد أن تخرج منها، أن تتركها ولا يكون فيها أيّ عمل. [...] لكي لا يلفتوا نظر العدو لها، لذا كان لديهم احتمال خروج المجاهدين من تلك المنطقة فوضعوا الألغام واستعدوا. فلما خرج المجاهدون، وقع كثير منهم في الألغام، وعلى رأسهم أخونا شامل ونائبه خُونْ كَرْبَاشْ، وأيضًا القائد العام لجروزني القائد أَسْلَمْ بِيكْ، فقد قُتل في قذيفة هاون. وكانت المعلومات التي جاءت للمجاهدين مغلوطة، حيث جاءتهم معلومات بأن في الطريق ألغامًا وتديَّة فقط (ألغام بالأسلاك). فكان أخونا شامل يمسح في الثلج، ويتحسَّس المنطقة، فإن وجد أسلاكًا يفتحها مباشرة، وفتح عدة ألغام، ولكن كان هناك نوع آخر من الألغام بالضغط، فانفجر أحدها في أحد الحرس الذين معه، فأخذه وأكمل الطريق وعرف أن المنطقة بها ألغام ضغط، فأخذ الجريح وبدأ يمشي والناس تخرج. وإذا تحركت المجموعات فمن الصعب أن تُوقفها وتُرجعها، خاصةً إذا كانت بأعداد كبيرة كهذه.

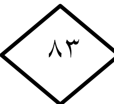
واصل شامل في المسير، فضربه لغم فجاءه المجاهدون ليساعدوه فضربهم لغم آخر، فطلب من المجاهدين أن يتطوَّع منهم ٢٠ – ٣٠ مجاهدًا ليمشي يفك الألغام، فصمتت الناس، فقال لهم: (ضروري! لا بد من ذلك، وإلا ستكون هناك مقتلة كبيرة في المجاهدين)، فكان الجميع صامتًا فقال: (أنا أخرج معكم). وكان هو أول من خرج ومعه ٣٠ مجاهدًا، وكان الموقف يحتاج منه أن يقف مثل هذا الموقف وقد تكلم بعض الناس لماذا يتقدّم وهو قائد؛ لم يكن من حل سوى أن يتقدَّم. وبعدما ضُرب باللغم، كان ينادي بالترتيب، وكان الناس في هرج ومرج، وكان لا بد من المواصلة وإلا طلع الصبح ويحدث ما هو أسوأ. فتقدم أحد أقارب جوهر دودايف اسمه: لِيتْشَا، فضربه لغم أول



وثانٍ فقُتل، ثم قُتل خُونْ كَرْبَاشْ بلغم، ثم فتحوا الطريق وبدأت الناس تخرج حتى تجاوزوا هذه المنطقة إلى أن دخلوا قرية يِرْمُولُوْكَا، فضرب الروس القرى بالمدفعية فذهبوا إلى قرية ثانية، وثالثة حتى وصلوا إلى المناطق الجبلية.

فجاءتنا الأخبار بجرح ومقتل القادة، وكان المطلوب مني في ذلك الوقت أن أرسل شاحنات وسيارات لاستقبال المجاهدين، وكانت معنويات المجاهدين مرتفعة جدًا بأن خطاب قادم بأربعين سيارة وشاحنة مع التموين والطعام، وكان كثير منهم يقولون نحن معنوياتنا مرتفعة ومستمرّون في الحركة أملًا في لقائكم ولقاء الشاحنات والتموين. والحقيقة، أني جمعت الشاحنات وتقدَّمت ولكن الثلوج كانت قد نزلت وأصبحت الحركة صعبة وكان معي قرابة ١٠٠ مجاهد لاستقبال المجاهدين، وكلَّمت شامل: (تحتاجون مساعدة؟)، فقال: (لا، لا نحتاج، عددنا كثير وعندنا سلاح وذخيرة كافية)، ثم كلمته مرة ثانية فقالوا: (أنجدنا الوضع غير جيد). فجمعت ٢٥٠ مجاهدًا وأخذنا السلاح والذخائر، وتحركنا، ولكن وجدنا أن السيارات لا تسير، فجهزنا بلدوزرات ووضعنا عليها زلَّاجات وتحركنا نصف المسافة، فوجدنا مستنقعات كبيرة، فسقطت فيها البلدوزرات فأكملنا باقي المسيرة. ووجدنا أن أعداء الله قد وضعوا لنا كمينًا، لكن الله أنجانا منهم. فقد كنا ونحن نتقدَّم قد انضمَّ إلينا ثلاثة من المجاهدين لا نعرفهم، فتقدَّموا علينا فوقعوا في الكمين، وقُتلوا وانكشف الكمين فهرب الروس.

فلما وصلنا ثاني يوم، وجدنا في مكان الكمين رصاصًا وآثار دماء وآثار الآليات، فعرفنا أن هناك كمينًا ينتظرنا، فغيرنا طريق مسيرنا وصعدنا إلى مكان آخر، وتجاوزنا المنطقة إلى أن وصلنا طريقًا يمر بالغابة أردنا اجتيازه، فقصفوا علينا وقُتل سبعة من المجاهدين وجُرح ١٥ مجاهدًا، فاضطررنا للرجوع. وكنا قد اقتربنا من القرية التي بها شامل



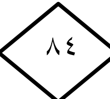


مع الشباب، وأرسلت أخانا رمضان ليكمل الطريق بينما أرجع بالناس. فذهب ليأتي بشامل، فدارت بيننا وبين الروس معركة في المغرب، ضربنا فيها دبابة وبعض الآليات وكان هناك قتلى وجرحى منّا. فبصعوبة رجعنا إلى ما كنّا عليه، وجاء شامل ومن معه منتصف الليل، وكان البرد شديدًا والثلوج بالإضافة لشدّة الجوع، إذ لم نأخذ معنا شيئًا، وكان لنا يومان لم نأكل. ولما وصلنا إلى شامل بالصباح، كانوا قد اشتبكوا مع الروس وتجاوزوهم، ثم واصلنا المسير أربعة أيام لم نذق فيها الطعام، سوى شرب الماء وأكل الثلج، فقد كانت هذه الرحلة صعبة جدًا. ولما رأيت شامل نزلت الدموع من عيني، إذ رأيته والمجاهدون يحملونه وهو بنفسية مرتفعة ويبتسم ويضحك ويقول: (الروس أعطوني هدية الآن إن شاء الله، سهل عليَّ بعد الآن فتح الألغام، فلن أفتحها بالشكل الذي فتحته؛ إنما أضع رجلي الخشبية وأفتح الألغام للمجاهدين فيما بعد). فتأثرت كثيرًا من ذلك وحملته! فقال لي ممازحًا: (أنا أعرف أنك تحملني لأنني جريح الآن، لكني لا أحملك عندما تُجرح).

الحمد لله، تجاوزنا كل المناطق إلى أن وصلنا منطقة شاتوي، وكان يعقوب وأبو الوليد هناك قد أعدوا الطعام وكل شيء واستقبلوا المجاهدين، ثم رجعنا بعد ذلك إلى مواقعنا في الجبهات، وهذه هي قصة مسيرة جروزني.

قتلى مغارة شاتوي

كانت هناك مغارة فيها أكثر من ٢٧ مجاهدًا -نسأل الله أن يتقبلهم-، خرج منهم ٧ أو ٨ وبقي ١٧ في المغارة وكلهم جرحى؛ فجاءت قوات المشاة فاشتبكوا معهم ودمروا المغارة عليهم. وكان الذين في المغارة أكثرهم من الأنصار: من العرب والأنجوش





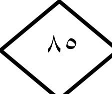
والقرتشاي. كان هناك جرحى قُتلوا وهم: أبو حمزة الجزائري وأبو حمزة اليمني ومسعود البريطاني وأبو مصعب التركي وعكرمة السوري ويس البوسنوي، نسأل الله أن يتقبلهم.

خروج الإخوة من الحصار من العاصمة ومن حصار شاتوي في حد ذاته كرامة من الله تعالى وفضل عظيم منَّ الله به على المجاهدين، ولقد كنت أدعو الله وأنا في هذا الحصار وفي كل لحظة أن لا يمكن لأعداء الله على الإخوة، وكنت أسأل الله الشهادة في مكان آخر غير الحصار حتى لا يفرح أعداء الله، كما أذكر رائحة المسك الذي خرج من أحد الإخوة ولقد شمّه معظم الإخوة [...].

مسيرة شاتوي الثانية

خرجت مسيرة من ٩٠٠ – ٨٠٠ مجاهد مع جلايف وأخينا رمضان وعربي وأخينا داوود والكثير من الإخوة، من شاتوي إلى أُرُوسْ مَرْتَانْ. وصلت جُموع المجاهدين إلى المناطق الجبلية التي قبل أُرُوسْ مَرْتَانْ، وخرجت مجموعة رصد من ٢٠ أخًا كان على رأسهم أخونا رمضان وعربي والشباب، فدخلوا القرية وعبروا منها. ثم جاءت بعدهم مجموعة، فصار عليها إطلاق نار في الوادي الذي مرُّوا فيه، وكانوا يَمْشُون في الماء قُرَابَة ساعة أو ساعة ونصف ساعة. وجاءت بعده مجموعة من ١٠٠ – ٢٠٠ مجاهد دون ترتيب، فصار عليهم إطلاق نار فقُتل منهم ثلاثة وجُرح عدد آخر، فردُّوا على الروس. ففهم الروس أن هذا هو طريق المجاهدين، بينما المجموعة الأولى لم يردُّوا واكتفوا بالعبور.

فشدّد الروس الحصار في هذه المنطقة، فجاءت المجموعات الأخرى فسقطت في كمين شديد وألغام وضعها الروس، ودارت معارك قُتل فيها من أعداء الله –سبحانه وتعالى– ولكن كان عدد القتلى والجرحى كبيرًا في المجاهدين، حيث حوصر المجاهدين من جميع الجهات في منطقة مفتوحة في قرية سَعْدِي قُوتَرْ القريبة من الجبال. وقُتل عدد كبير

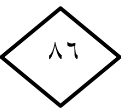




من المجاهدين؛ قتل ما لا يقلّ عن ٢٥٠ مجاهدًا في تلك القرية، والباقي استطاع -بفضل الله- الخروج من المنطقة. وكان عدد الجرحى كثيرًا، هذا على أقل تقدير، وهناك من يزيد وهناك من ينقصون. والتقريب الصحيح -والله أعلم-: أنّه كان هناك ما يقارب ٢٤٠ مجاهدًا استُشهدوا في قرية سَعْدِي قُوتَرْ أو ما يعرف بـ (كَمْسَمُولْسْكُويَ). وقد رجع هذا سلبًا على المجاهدين في المناطق الأخرى، فدخل الشيطان وأصبح هناك شيء من فقد الثقة، وأصبح المجاهدون يخافون أن تتكرَّر مثل هذه المعارك التي يذهب فيها كثير من المجاهدين. والحقيقة عدد المجاهدين قليل، ومثل هذه المَقْتَلة ومثل هذا العدد يُؤثر كثيرًا بشكل سلبي على معنويات المجاهدين، والجميع اجتهد -جزاهم الله خيرًا-، والجميع قاموا بالذي يستطيعون، ولكن هذه كانت النتائج، ونحمد الله -سبحانه وتعالى- على كلّ حال.

نصائح عامة

نصيحة للمجاهدين خاصّة وللمسلمين عامّة أقول: ولعلّي ذكرت هذا الأمر بشكل معيّن في بداية هذا اللقاء: أن يكونوا بقدر المسؤوليات التي تُعطى لهم في تقديم النصرة. فالقضية ليست عاطفة أو حماسًا أو موضة أو أقول: لأنّ الناس مشت فأنا أمشي أو أن يذهب الإنسان فترة ويرجع؛ بل يجب حقيقةً، أن نصدُق في هدفنا وفي حركتنا في نصرة أي قضية. ولعلّي ذكرت كثيرًا من هذا: من تقديم خطّة، وعمل استراتيجية، ودراسة الأمور، وأن تكون الأمور منظّمة، وفي توحيد الدعم، وفي توحيد العمل الإغاثي، وفي تقليل حركة الإخوة الأنصار في الأسواق والأماكن العامّة والأسواق وإلخ، حتى لا يتمكّن أعداء الله أن يجُرُّوا المجاهدين إلى مستنقعات المشاكل والقضايا التي لسنا بحاجة لها. وأيضًا الصدق في أيّ قضيّة نذهب إليها، سواء كانت قضية في إفريقيا أو في شرق



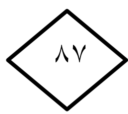


الأرض أو في غربها. نحن عندنا رسالة، فأينما كان العمل في سبيل الله فعلينا أن نصدُق مع الناس، وأن نُقْدم ونسأل الله الشهادة، والروح تخرج مرّة واحدة والموت يأتي مرّة واحدة ولا يتكرّر مرّة أخرى. فيجب أن يسأل هؤلاء الشباب الله تعالى الشهادة بصدق، ويُحسنوا الظنّ بالله، ويثقوا بأن الله -سبحانه وتعالى- سيقبّل منهم كما يكون في أماكن أخرى.

أيْضًا عليهم الإعداد بشكل طيّب، ولعلّ الله -سبحانه وتعالى- أمرنا بهذا في أكثر من موضع في القرآن الكريم: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} [التوبة: ٤٦]، {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [الأنفال: ٦٠]. فأقول: الأسباب لها دور كبير في تحقيق هذا الهدف. أمّا أن تكون تجمّعات المجاهدين تجمّعات ركيكة يكثر فيها الكلام والنقاش، وتجمعات ليس فيها خبرة ولا شيء؛ فهذا حقيقة يُضعف المجاهدين عن هدفهم في تقديم النصرة، فيكثر فيها الجدل وتبدأ الاستغلاليّة والطمع.

والحقيقة، في كثير من القضايا يظنّ الكثير أنّ الأموال يُمكن أنْ تأتِي بالاحترام والمحبّة من الناس، بل والله بالعكس؛ عندما تُوزّع الأموال بشكل عشوائي، تبدأ الناس تطمع ويكثر الطمع والاستغلاليّة، وكما يقولون بالعاميّة: يضحكون على هؤلاء الملتزمين المساكين أو السذّج! فيجب أن نكون نحن حريصين على أموال المسلمين، وأن نكون حذرين وفَطِنِين في كيْفيّة تحريك أيّ قضيّة، وهذا حقيقة أمر مهم جدًا للمجاهدين، وكذلك ترك العشوائيّة والكلام الذي ليس له داعٍ.

والله يا إخوة! بقدر ما تعطي أيّ قضيّة من وقتك، بقدر ما تكون هناك نتائج. إذا تعطي أيّ قضيّة أو تعطي الإعداد أو تعطي الجهاد فضلة الوقت، فأيضًا ستأخذ أنت فضلة من النتائج؛ أمّا أن تعطيها كلّ وقتك وتعيشها فستعطيك كلّ شيء. ونفس

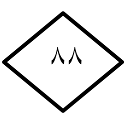




الشيء في طلب العلم، عندما تطلب العلم وتُعطي طلب العلم الكثير من الوقت وتقرأ وتحفظ تُصبح عالـمًا تستطيع أن تُعطي وتُقدّم، وعندما تعطي من يومك ساعة أو نصف لطلب العلم لا تستطيع أن تقول شيء، ونفس الشيء في الإعداد. ونفس الشيء في خدمة دين الله تعالى، [إذا] نحن أعطينا فضلة أوقاتنا لخدمة دين الله، ثمّ نريد أن يرجع للأمّة مجدها وأن يُمكّن لهذه الأمّة وأن يحكّم دين الله، والله لا يكون هذا! الصحابة -رضي الله عنهم- خرجوا، ولا يوجد في البقيع إلا مائتيّ قبر؛ لأنّ البقيّة كلهم خرجوا وعاشوا خارج الجزيرة العربية في أراضي الروم والفرس وفي كلّ مكان، وتزوّجوا وناسبوا تلك الشعوب وعاشوا معها وعلّموها وقضوا نحبهم هناك، حتى في داغستان يوجد أكثر من سبعة قبور للصحابة، ويقولون: وصل الصحابة -رضي الله عنهم- حتى إلى تِيرِكْ في أرض القوقاز. فهؤلاء الناس قدّموا، أمّا أن نأتي نحن لنجاهد لأسبوع أو أسبوعين أو لشهر ثم نرجع فلن يكون هذا، فيجب أن نتفرّغ لخدمة دين الله تعالى؛ سواء في مجال الدعوة أو في الجهاد أو العمل الإغاثي أو غيره. وكذلك من المهمّ جدًا معرفة لغة القوم، كما يقول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: "من علم لغة قوم أمِن مكرهم"[٥] أو كما قال الرسول ﷺ؛ الحقيقة [أن هذا] أمر مهمّ جدًا.

ويعلم الله، أنّي كنت أنظر كيف كان الوضع بعد الخروج من أفغانستان، وكيف كان هناك فراغ، وبدأنا نظن الظنون، وبدأت المشاكل، وبدأ الناس ينتقّصون من المجاهدين، وبدأ الناس ينظرون بنظرة سلبيّة للمجاهدين. والله تحطّمت معنويات إخوة كثيرين في كلّ مكان، بدأ الناس في المجالس يستهزئون ويلمزون المجاهدين: (أين رحتم أنتم؟)، و(أين ضيّعتم أطرافكم؟) أو (أين ضيّعت يدك؟)، أو (أين قُطعت رجلك؟، عند أناس حشّاشين؟)، فكان يقال كلامٌ كثير. وطبعًا هذا ليس حديث الجميع، ولكن كان كثير

[٥] ليس بحديث ولا من آثار الصحابة.





من الإخوة يواجهون مثل هذا الكلام، يقال لهم: (نحن أعطيناكم مساعدات وتبرّعات، والآن الأفغان يتقاتلون فيها)، يعني: ساعدنا مجموعة حشّاشين، وهؤلاء ضحكوا عليكم! فتحطّمت معنويّات المجاهدين، وبعض الشيبان أو بعض الناس يقولون في المجالس: (ها، وينكم؟! وين الخلافة الإسلاميّة التي تريدون أن تقيموها في أفغانستان؟!). كلام حقيقة بعيد عن الصدق الذي صدقه هؤلاء الإخوة، هؤلاء الإخوة خرجوا في زهرة أعمارهم وشبابهم، خرجوا من حياة وفيرة جميلة فيها كلّ شيء، خرجوا ليعيشوا هناك وصدقوا صدقًا عظيمًا.

الإنسان يمرّ بداخله وفي جوفه بأسئلة وعقبات، حتى يخرج من هذه الدنيا ويتفرّغ لخدمة دين الله -سبحانه وتعالى، فبدل أن يكون هناك من يشجّع، ويقول: جزاك الله خيرًا، وإذا لم تكن هذه المرّة فإن شاء الله في المرّة القادمة، وإن شاء الله سيرجع لهذه الأمة مجدها وعزّها في يوم من الأيام. بدل أن يقال هذا الكلام، صار ذمّ ولمز للإخوة واستهزاء بهم. والحقيقة، تعبت نفسيات الإخوة كثيرًا، وضعف كثير من خيرة المجاهدين الذين كان الإنسان يتمنّى أن تكون لهم إنجازات، وأن يكون منهم قادة لفتوحات أهل الإسلام في كلّ مكان، ولكن الحقيقة ضعف كثيرٌ منهم وتحطّمت معنوياتهم بحديث وكلام كثير من الناس.

والحقيقة أن الأحداث كانت أيضًا صعبة، ولكن نحن علينا بما قاله الله تعالى في القرآن الكريم: {اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا} [آل عمران: ٢٠٠]، فيجب على الناس أن تصبر وأن تثق بالله. والله أنّنا كنّا نعيش، وكنّا نأكل أفضل وأحسن ممّا لو كنّا في بيوتنا، ومنّ الله علينا بأن تأهّلنا وتزوّجنا، والآن الناس تقدّر وتحترم، والإنسان يحسّ بأن يومه





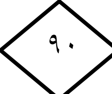
كلّه في سبيل الله، ويحسّ أنّه يخدم دين الله، بل يحس أنّه يُحرّك ويحرّض هذه الأمّة ويُحييها من سباتها العميق الداخلة فيه.

فأقول: الإنسان اليوم يؤمن ويثق بأنّه يمكن لعدد قليل من المجاهدين وبعدد قليل من السلاح، أن يقوموا بأي برنامج، وبأي عمل عسكري ضدّ أعداء الله تعالى في تحقيق شيء للأمّة الإسلاميّة.

فأقول للإخوة: ثِقوا بالله وأحسنوا الظنّ بالله، والله ثم والله أنّنا كما نؤمن بالله، نؤمن بالنصر المُبين، وبالخلافة التي وعد بها الرسول الكريم. فيجب أن تكون قلوب الإخوة وإيمانيّاتهم مثل الصخر، لا تذهب بكلام من أناس جهلة أو أناس مُغرضين أو حاقدين، أو حتّى لو كانت الناس تمزح.

والله يا إخوة! لو لم أكن في أرض الشيشان لما صدّقت ما يدور، ولقلت أنّ هذا كلّه مسرحيّة تقوم بها روسيا لنهب أوروبا أو شيء من هذا القبيل؛ جحافل وقوافل بالمئات بل بالآلاف من الجنود تحاصر مكانًا ويَمُنّ الله على المجاهدين.

الناس هنا صادقة في أن لا تعيش مع الروس، لا يتحمَّلون أن يروا الروس في الشيشان والقوقاز؛ يعني بالعاميّة: لا يُطيقون أن يروا رقعة وجه الروسي. ناهيك عن التاريخ المجيد والعظيم الذي كان في القوقاز من قبل. فالناس مستعدّة أن تقدّم، وهذا هو الشيء الذي يجعل الإنسان يصبر هنا، ويعطي ويقدّم أكثر. بالإضافة إلى أن أي جهد نقوم به -سواء كان معهدًا أو تدريبًا أو غيره-، لم يكن يستفيد منه شعب واحد؛ بل تستفيد منه ثمانية شعوب. والله يا إخوة حتى بعد القتال،كان يوجد في بيت أحدنا ما لا يقلّ عن ٣٠ - ٤٠ ضيفًا في اليوم الواحد، والسفرة تكون من أوّل الغرفة إلى آخرها. كانت الناس تأتي من كلّ مكان؛ وهذا يقتنع وهذا يبقى وهذا يتجهّز وهذا يحتاج. فكان





الإنسان يصرف وقته وجهده إلى آخر الليل في العمل، وأقول: كلّ واحد منكم يجب أن يكون مستعدًا لمثل هذا بما ذكرناه لكم. ولا أحد يسمع كلام الناس وتعاملهم معنا، وكأنّنا نحن المسؤولين عن النتائج؛ نحن لن يسألنا الله تعالى عن نتيجة أي عمل، بل نحن سنُسأل عمَّا فعلناه وعن الأسباب التي نقدّمها، النصر بيد الله -سبحانه وتعالى-، والتمكين بيد الله -سبحانه وتعالى-. نحن سنُسأل أمام ربّ العالمين: لماذا لم نقدّم النصرة؟! ولماذا لم نقدّم ونفعل الأسباب؟! والباقي بيد الله -سبحانه وتعالى-.

والحقيقة، بعض الناس يحاسبنا ويزن القضية بالتَّحليلات والدّراسات وماذا أُعطينا وماذا نريد وبماذا خرجنا؛ هذا الكلام غير صحيح، نحن قوم مؤمنون بالله، إمّا أن يكون التمكين في هذه القضيّة أو في قضية ثانية أو ثالثة أو رابعة أو خامسة. وفي كل قضية خرجنا بتجربة عظيمة، وأتمنّى أن ييسّر الله لنا وقفة لنكتب أو نتكلم عن كلّ عمليّة؛ ماذا صار وأين ذهبنا ومع من تقابلنا من الناس، وعن قضية أفغانستان وطاجكستان وتضحيات المجاهدين. لم يكن ممكنًا أن نتعلّم ما تعلّمناه، لولا ما كتبه الله تعالى لنا من أعمارنا خمسة أو عشرة سنوات في عمر الجهاد، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعتق رقابنا من النار، وأن يرحمنا وأن يقرّبنا من الجنان، ونسأله الفردوس الأعلى. ولكن نقول: أنّنا كنّا نتعلم وندرس في هذه القضايا ما لا يمكن أن نجده في جلسات ولا في جامعات، والحقيقة هذه هي ميادين القتال.

أكرم الله هذه الأمّة اليوم بعدد كبير، وأغنى أرض بيد المسلمين؛ آسيا الوسطى والتركستان والقوقاز والجزيرة وشمال إفريقيا، أفضل نفط وأغنى أرض هي بيد المسلمين، والمناطق الاستراتيجية بيد المسلمين، لو أنّ العالم الإسلامي تحرّك قليلًا لأُغلقت طرق العالم كلّها. ثم أمّة أكرمها الله بعقيدة وأكرمها برسالة وأكرمها بالقرآن وأكرمها بهذا



الدين وبخاتم النبيّين، ماذا تريد أكثر من هذا؟ ومجد عظيم أسّسه الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعون ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ثم جئنا نحن الآن وضيّعنا كلّ شيء، جَالسِين خلف الدنيا الزائلة!

فمنّ الله تعالى علينا بأشياء عظيمة؛ فماذا تحتاج الأمّة اليوم؟ الأطباء موجودون، والمهندسون والتجّار، ورجال الأعمال.

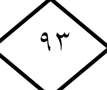




لا تنسوا إخوانكم من الدعاء









مُؤَسَّسَةُ صَرْحِ الْخِلَافَةِ